حذف فعل القول وشواهده في سورة البقرة دراسة نحوية ودلالية

د. عبدالله بن سرحان القرني

تاريخ التحكيم: ٥/ ٢/ ١٤٣٧ تاريخ الإجازة: ١٤/ ٤/ ١٤٣٧

المستخلص:

يتناولُ هذا البحثُ وفْقَ مَنْهَجٍ وَصْفِيٍّ تَحْلِيلِيٍّ ظَاهِرَةَ حَذْفِ فِعْلِ القَوْلِ فِي الجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ، فيعرض إجمالاً لجملة مقول القول ومكوناتها التركيبية، ثم يُؤَصِّلُ لِظاهرةِ الحذف عامةً في جملة القول، والحالات التي نَصَّ النُّحاةُ على إضمار قول فيها، وبيان العلل الدلالية والمقاصد المعنوية من حذف هذا الفعل الذي يتواتر حذفه في غالب كلام العرب.

وبعد هذا التناول النظري لتلك الظاهرة يستدعي البحث بعض شواهد حذف فعل القول في سورة البقرة، وقد بلغت اثنتي عشرة آية، فيبين موضع حذف فعل القول فيها من خلال أقوال المفسرين، مع بيان اتفاقهم أو اختلافهم في تقرير هذا الحذف أو نفيه، ثم يبحث في الأغراض الدلالية والدوافع التركيبية التي آثر النص لأجلها حذف فعل القول في موضعه. مع مقدمة وخاتمة وقائمة مفهرسة بالمراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية:

حذف فعل القول، شواهد سورة البقرة، دراسة نحوية ودلالية.

مقدمة البحث

الحمد للّه ربِّ العالمين، وصلى اللّه على سيّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. اللَّهمَّ إنَّا نسألك قولًا بالحقِّ، وعملًا به، وطلبًا للرُّشد وانتهاءً إليه، أما بعد:

فإن الجملة القرآنية تتميز عن سائر الكلام الفصيح بإعجازها البنيوي واتساع مداها الدلالي، ولها ميزاتٌ تركيبيَّة تجعلها ذات مذاقٍ لغوي وبلاغيٍّ رفيع؛ فالقرآن أرقى أساليب البيان العربي، ولذلك فإننا لا يمكن أن نصل إلى ذروة التذوق الفني للجملة العربية حتى نضع أيدينا على أهم أسرار التعبير في أسلوب الجملة القرآنية، وذلك لأنَّ الحديث عن جمل القرآن الكريم هو حديث عن أبرز وجوه الإعجاز القرآني، وهو حديث عن جودة النظم في أسمى وجوهها وحسن السياق في أجلى صوره.

وهذا البحث يتناول ظاهرة "حذف فعل القول"، وذلك بالتأصيل النظري للموضوع، واستقراء الأغراض الدلالية والدوافع التركيبيَّة لحذف هذا الفعل، مع دراسة تطبيقية لتلك الظاهرة في سورة البقرة، زهراء الوحي الشريف، وأطول سور القرآن الكريم.

والحذف ظاهرة لغوية شائعة، عقد لها ابن جني بابًا سمَّاه "بابٌ في شجاعة العربيَّة" قائلًا في مستهلِّ حديثه: "اعلم أنَّ معظم ذلك إنَّما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير، والحمل على المعنى، والتحريف"[(١)].

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- بيان ظاهرة الحذف عامة في جملة مقول القول.

---

(١) الخصائص، لابن جني، ٢/ ٣٦٠.

- تسليط الضوء على ظاهرة حذف فعل القول ورصد حالاته التركيبية.
- دراسة الشواهد التطبيقية لتلك الظاهرة في سورة البقرة – وبمنهج وصفي تحليلي –.
- الكشف عن الدوافع الدلالية والمقاصد التركيبية من حذف فعل القول في مواطنها المرصودة بالدراسة النظرية أو الدراسة التطبيقية.

منهج البحث:

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة قضاياه ومسائله، فالمنهج الوصفي يرصد الظاهرة ويصفها وصفًا تركيبيًّا قاعديًّا، والمنهج التحليلي يبحث في الخيوط الدلاليَّة الدقيقة في تلك التراكيب المرصودة، ويبين الأهداف النصيَّة التي حُذِف فعل القول لأجلها.

الدراسات السابقة:

لا أزعم أنني أول من طرق باب هذا الموضوع في البحث النحوي، فثمة عنوانان لدراستين سابقتين تخصان تلك الفكرة، وهما:

- **القول ومقولُه في القرآن الكريم**- دراسة نحوية دلالية، د. محمد بن محمود فجال، (رسالة دكتوراه – جامعة صنعاء، الجمهورية اليمينة، ٢٠٠٣م). وهذه الدراسة لم أستطع الوصول إليه رغم التواصل على البريد الإلكتروني للباحث، وإيداع طلب للحصول على نسخة من الدراسة على موقع المركز الوطني للمعلومات التابع لرئاسة الجمهورية اليمينة المعني بتوفير نسخ الرسائل المخطوطة، وكذلك على موقع جامعة صنعاء إلا أن الجهتين لم تردا على الطلب، ولم يرد الباحث أيضًا على طلبي الشخصي بالحصول على نسخة من بحثه.

○ **جملة القول في القرآن الكريم دراسة في أنماطها التركيبية وأساليبها.** (رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة البصرة، ٢٠٠٦م).وبالاطلاع على هذه الدراسة وجدتُ الباحث مهتمًّا بجملة مقول القول بكافة أنماطها التركيبية وأساليبها اللغوية، وأحكامها عامة أو التوجيهات الداخلية الخاصة بالآيات التي استشهد بها، ولم يفرد مبحث "حذف فعل القول" إلا بصفحاتٍ محدودة مستشهدًا بأمثلة من سائر سور القرآن بصورة تمثيلية وليست بصورة استقصائية حصرية.

ويأتي بحثي هذا ليسلط الضوء على حذف فعل القول وأبعاده التركيبية والدلالية، مع التركيز على شواهد سورة البقرة استقصاءً وحصرًا وتحليلاً. وقد درست تلك الظاهرة في مبحثين: الأول تنظيري، والثاني تطبيقي، محاولًا التماس الخيوط الدلاليَّة والأبعاد التركيبية لتلك الظاهرة المنتشرة في الوحي الشريف خاصة، وفي سنن كلام العرب عامَّة.

وختامًا؛ فكتاب الله يعلو ولا يُعلَى عليه، وما أنا إلا وليد يحبو على شواطئ بلاغته الفسيحة ومملكة بيانه المترامية الشامخة، فإن كان ثمة توفيقٌ فمن الله تعالى، ولله المنة والفضل، وإن كانت الأخرى فـــــ:

مَـنْ ذَا الـذي مَـا سَـاءَ قَـطّ وَمَـنْ لـهُ الحُسـنَى فَقَـطْ

ذَاكَ مُحمَّـــــدٌ الـــــذي عَلَيـــهِ جِـــبْرِيلُ هَـــبَطْ

والله أسأل التوفيق والسداد، والصواب والرشاد. والحمد لله رب العالمين

مدخل إلى جملة القول:

اهتمَّ النحاة القدامى والمحدثون بدراسة القول وجملته، وهي التي تتكوَّن من القول أو ما يعبر عنه، ومن المقول أو ما يدل عليه، وقد دُرِسَت في سياق الجمل التي لها محل من الإعراب، واعتبرت من المنصوبات، على اعتبار أن لها محلًا من الإعراب هو (المفعوليَّة)، يقول الصبان في حاشيته على شرح الأشموني: "مقول القول مفعول به للقول"(١)، وقال ابن هشام: "جملة الحكاية بالقول مفعول به وهو قول الجمهور"(٢).

وعلى الرغم من اعتبار النحاة لجملة مقول القول مفعولًا به إلا أنها سُمِّيَت جملة "مقول القول" ولم تسمَّ مفعولًا به؛ لأن المفعول به لا يكون جملة، وما جاء منه جملة فإنه يُؤوَّل بمفرد، فجملة الحكاية أو جملة مقول القول تسدُّ مسدَّ المفرد، ولهذا احترز الصبان في حاشيته وذكر "أن الجمل التي لها محل واقعة موقع المفردات، فليست النِّسَب بين أجزائها مقصودةً بالذات، فلا التفات إلى اختلاف تلك النسب بالخبريَّة والإنشائيَّة بخلاف ما لا محل لها"(٣).

فقد عَدَّ النُّحاةُ الجملة المحكيَّة بالقول مِن ضمن الجمل التي لها محلٌّ من الإعراب، لكنَّها تقع موقع كلمةٍ مفردةٍ، وتسدُّ مسدَّ هذا المفرد. يقول المرادي في "توضيح المقاصد": "أصل الجملة ألا يكون لها محلٌّ من الإعراب؛ لأنَّ أصلَها أن تكون مستقلَّةً لا تتعدد بمفرد، ولا تقع موقعَه، وما كان من الجمل له محلٌّ من الإعراب فإنما ذلك، لوقوعه موقع المفرد وسد مسده"(٤).

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣/ ٤٥٥.

(٢) مغني اللبيب، ٢/ ٤٦٠.

(٣) حاشية الصبان ٣/ ١٨٠.

(٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمرادي، ١/ ١١٢.

ويوضح ابن هشام موقع جملة القول من الإعراب فيقول: "الجملة الثالثة: الواقعة مفعولًا، ومحلُّها النَّصبُ إن لم تَنُبْ عن فاعلٍ، وهذه النيابة مختصَّةٌ بباب القول نحو: ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[١] لما قدَّمناه مِن أنَّ الجملة التي يُرَاد بها لما قدمْنَاهُ من أنَّ الجملة التي يُرَاد بها لفظُها تنزل منزلة الأسماءِ المفرَدَة"[٢].

أمَّا ابن الحاجب فقد اختار أن تكون الجملة بعد القول مفعولًا مطلقًا كالقرفصاء في "قَعَدَ القُرفُصَاءَ"؛ إذ هي دالة على نوع خاص من القول، ويقول في ذلك: "والذي غرَّ الكثيرين أنهم ظنوا أنَّ تعلق الجملة بالقول كتعلقها بـ "علِمَ" في "علمتُ لَزيدٌ منطلقٌ"، وليس كذلك؛ لأنَّ الجملة نفس القول والعلم غير المعلوم فافترقا[٣].

وقد خالف الرضيُّ ابنَ الحاجب في رأيه السابق، وذكر في شرحه أنَّ جملة القول منصوبة الموضع بكونها مفعولًا به، ويذكر أنَّ ابن الحاجب قد توهَّم في رأيه، ويقول: "والذي أوهم المصنف قولهم: إنَّ معنى "قلتُ زيدٌ قائمٌ" قلت هذا القول، وذهل عن أنَّ القول يُطلَق على المقول"[٤].

وبذلك؛ فإن جملة مقول القول أو الجملة المحكية بالقول تسد مسد المفعول به لفعل القول أو ما ينوب عنه، لكن هناك من النحاة المحدثين من يرفض اعتبار جملة مقول القول تسد مسد المفعول به ولا تعد مفعولا به على وجه الحقيقة، حيث يقول الدكتور عبده الراجحي: "يرى النحاة تسمية هذه الجملة "مقول القول" لأنها ليست مفعولا به على وجه الحقيقة، بل هي سادة مسد المفعول

---

(١) المطففين ١٧.

(٢) مغني اللبيب، ١/ ٥٣٨.

(٣) شرح الكافية للرضي، ٤/ ١٤٢.

(٤) شرح الكافية للرضي، ٤/ ١٧٥.

به؛ إذ إن المفعول به عندهم لا يكون جملة ولا نرى ذلك، بل الجملة مفعول به للفعل قال، والجملة "المفعول به" sentence object ظاهرة معروفة في اللغات"[١].

متعلق فعل القول:

يتعلَّق بفعل القول حرفٌ من حروف الجر يوجِّه معناهُ، وهذا الحرف إمَّا أن يكون (على، أو عن، أو اللام)، وتختلف دلالة فعل القول مع متعلقه، فمعنى قال عليه: افترى، وقال عنه: أخبر أو روى، وقال له: خاطبه[٢]، وتكون اللام بمثابة حلقة الوصل أو الربط بين المُخاطِب والمُخاطَب، أي: بين المتكلم والسامع له، وتسمَّى هذهِ اللام (لام التبليغ) بفعل القول، نحو: قلت لهُ[٣].

الحذف في جملة القول:

ترد الجملة القول في أنماط كثيرة مكتملة العناصر التركيبية، من فعل القول، والفاعل (القائل) اسمًا ظاهرًا، ولام التبليغ، والمقول له أيضًا مذكورٌ صراحةً كاسم ظاهر، وذلك نحو قوله تعالى[٤]: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾.

فالقائل في هذه الآية هو موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو اسم ظاهر، ونلاحظ أنَّ المقول له اتصل بلام التبليغ وهو اسم ظاهر أيضًا.

وقد يكون التركيبُ مكتملًا، ولكن إبهامًا يطرأ على التركيب من كون القائل

(١) التطبيق النحوي للدكتور عبده الراجحي ١ / ٢٠٣.
(٢) معجم الأفعال المتعدية بحرف، موسى بن محمد الأحمدي، ص ١٣٥.
(٣) ينظر: الجنى الداني للمرادي، ص ٩٩.
(٤) البقرة: ٦٧

ضميرًا متصلًا – مثلًا – نحو قوله تعالى[١]: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ فالقائل هنا مذكور "واو الجماعة" لكنه من المبهمات التي تحتاج بيانًا، وهذا مفهوم من السياق، ففيه إجمال وتفصيل، والمعنى: قالت اليهود كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فالواو الدالة على القائلين عائدة على اليهودي والنصارى بدلالة مساق الخطاب[٢]. وعلى الرغم من الفرق الزمني بين الفئتين؛ إلا أنَّ تشابه أقوالهم جعل النص القرآني يعوِّض عن الاثنتين بضمير واحد.

وفي تعبيرات كثيرة قد يُحذَف شيءٌ من بنية التركيب القولي، ويمكن أن نقسم ما يتم حذفه في القول وجملته إلى ثلاثة أقسام:

الأول: هو حذف القول، وقد أجمع النحاة والمفسرون أنَّ حذف القول كثير في كلام الناس وكثير في القرآن، يقول ابن الأنباري: "لأنَّ القول يحذف كثيرًا كما يذكر كثيرًا"[٣]. وهو موضوع بحثنا وسنفصل القول فيه إن شاء الله.

الثاني: هو حذف مقول القول كاملًا:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى[٤]: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ جملة "أَسِحْرٌ هَذَا" ليس يمثِّلُ مقولًا لفعل القول (أتقولونَ) بأيِّ اعتبارٍ، بل هو محذوفٌ[٥]؛ لأنَّهم ساعةَ قالوا عن الحقِّ ما قالوه لم يكونوا سائلين بل مُقرِّرين، فما

---

(١) البقرة: ١٣٥.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/ ٧٣٦.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ١ / ٩٣ – ٩٤.

(٤) يونس ٧٦-٧٧.

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ١١/ ٢٥٠.

بعد (أتقولون) ينبغي أن يكونَ خبرًا لا إنشاءً، بدليل ما في الآية نفسها: {قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ}. إذنْ؛ فهم لم يقولوا: "أسحرٌ هذا؟"، إنَّما قالوا: "هذا سحرٌ". ثُمَّ استؤنف الكلامُ، فقِيل لهم تعجُّبًا واستنكارًا: "أَسِحْرٌ هذا؟".

"وقد جاءَ هذا الحذف – فيما أحسبُ – لأجل ألاَّ يَتَّصفَ الكلامُ بالتكرار المستثقَل؛ إذ لو أُثبتَ مقولُ (أَتقولونَ) المحذوفُ – عياذًا باللهِ مِن ذلك- لأدَّى الأمرُ إلى توالي (هذا سِحرٌ/ سحرٌ هذا) ثلاث مراتٍ، هكذا: (فَلَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالوا: إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبينٌ. قالَ موسى: أَتَقولونَ لِلْحَقِّ لَمّا جاءَكُمْ: "هذا سِحْرٌ"؟ أَسِحْرٌ هذا وَلا يُفْلِحُ السّاحِرونَ؟). ولأجل هذا أَرى أنَّ من الواجبِ – تساوقًا مع المعنى- أنْ يُتوقَّفَ في آخر: "أَتَقولونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ"، وأنْ يُنغَّمَ تنغيمًا مُسْتقلًا يَنْمازُ من تنغيمِ الكلام الذي يعقبُه: "أَسِحْرٌ هذا وَلا يُفْلِحُ السّاحِرونَ"[1].

الثالث: هو حذف ركن من أركان جملة مقول القول.

ومثال ذلك قوله تعالى[2]: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فالقائل والمقول له في هذه الآية هما الله سبحانه وتعالى وسيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ونلاحظ أنهما ذُكِرَا في بداية الآية، ثم بعد ذلك جاء فاعل فعل القول ضميرًا مستترًا، وبقليل من التركيز نستطيع معرفة كل واحد منهم من الأفعال الثلاثة والتقدير: قال الله لإبراهيم إني جاعلك للناس إمامًا، قال إبراهيم: ومن ذريتي، قال الله: لإبراهيم لا ينال عهدي الظالمين.

فهذا النمط أضمر عنصرين من عناصر جملة القول هما: القائل والمقول له،

---

(١) تردُّد المقول بين "الحكاية" و"الإخبار" في القرآن الكريم.. ملحوظاتٌ وتعليقاتٌ تمهيديَّة على نقل الكلام في العربيَّة، د. عمر يوسف عكاشة، المجلَّة الأردنيَّة للغة العربيَّة وآدابها، جامعة مؤتة/ الأردن، المجلَّد (٥)، العدد (١)، محرَّم ١٤٣٠هـ - كانون الثَّاني [يناير] ٢٠٠٩م، ص ٢٠٣.

(٢) البقرة: ١٢٤

فيأتي فعل القول منفردًا، وغالبًا ما يرد هذا النمط في القصص القرآني، عندما يكون القائل مفردًا، فيذكر في أول القصة ثم يستعاض عنه بالضمير المستتر بعد ذلك، أما المقول له فهو إمَّا أن يكون مفردًا أو جماعة وفي كلا الحالين، فهو يذكر في أول القصة ثم يقدر بعد ذلك.

وقد يكون المحذوف من جملة القول: هو المقول له، مثل قوله تعالى(١): ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ فالقائل في هذه الآية هو الله تعالى، وأشير إليه بضمير الغائب (الهاء) في قوله (قال إنه). أمَّا المقول له فهو إمَّا أن يكون قوم موسى الذين ورد ذكرهم في بدء القصة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ (البقرة: من الآية ٦٧)، وتقدير الآية: إنَّ الله سبحانه وتعالى يقول لكم إنها بقرة... وإما أن يكون موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو المقول له، والتقدير: إنَّ الله يقول لي إنها بقرة.

حذف فعل القول:

حذف فعل القول إحدى صور حذف الفعل، وقد قسَّم ابن الأثير حالات حذف الفعل تقسيمًا تأصيليًّا بديعًا فقال: "اعلم أنَّ حذف الفعل ينقسم قسمين:

أحدهما: يظهر بدلالة المفعول عليه، كقولهم في المثل: "أهلَكَ والليلَ"، فنصب "أهلك" و"الليل" يدل على محذوفٍ ناصبٍ، تقديره: "الحق أهلَك وبادر اللَّيلَ"، وهذا مَثَلٌ يُضرَب في التَّحذير. وعليه ورد قوله تعالى(٢): ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾

القسم الآخر: فإنه لا يظهر فيه قسم الفعل؛ لأنه لا يكون هناك منصوب يدل

(١) البقرة: ٦٨

(٢) الشمس: ١٣

عليه، وإنما يظهر بالنظر إلى ملاءمة الكلام. وقسَّمه لعدة أضرب:

• **الضرب الأول: حذف فعل القول** [الذي نحن بصدد دراسته]: فمما جاء منه قوله تعالى(١): ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ فقوله: {لَقَدْ جِئْتُمُونَا} يحتاج إلى إضمار فعل: أي فقيل لهم: لقد جئتمونا، أو فقلنا لهم.

• **الضرب الثاني: إيقاع الفعل على شيئين**، وهو لأحدهما، كقوله تعالى(٢): ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ فالفعل أجمعوا هو لأمركم وحدَه، وإنما المراد أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم؛ لأن معنى "أجمعوا" من "أجمع الأمر"، إذا نواه، وعزم عليه.

• **الضرب الثالث: إقامة المصدر مقام الفعل**. وإنما يُفعَل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد، كقوله تعالى(٣): ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾، قوله: ﴿ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾، أصله: فاضربوا الرقاب.

• **الضرب الرابع: حذف جواب الفعل**، ومثَّل له بأمثلة عديدة منها قوله تعالى(٤): ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ ﴾ فجواب الأمر من هذا الموضع محذوف، وتقديره: فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه، فقال له: **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾**(٥).

---

(١) الكهف: ٤٨

(٢) يونس: ٧١

(٣) محمد٤

(٤) يوسف: ٤٥-٤٦

(٥) تم اختصار هذه التقسيمات من: المَثَل السَّائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٢/ ٢٣٣: ٢٣٩.

كثرة حذف فعل القول:

وقد كثر حذف فعل القول في القرآن، حتى قال عنه الزركشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إنه في الإضمار بمنزلة الإظهار"(١). "وحذف القول مطَّردٌ في اللغة العربية، كثير جدًّا في القرآن العظيم"(٢)، وهذا ما أكَّده أبو علي الفارسيُّ بقوله: "حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج"(٣)، ويقصد بذلك أن حذف القول لا حرج فيه كما أن الحديث عن عجائب البحر لا حرج فيه، وهو هنا يشير إلى المثل القائل "حدث عن البحر ولا حرج"، فـــ "العرب تحذف القول حذفًا مُطَّرِدًا شهرتُه تُغنِي عن إيراد أمثلةٍ منه"(٤).

ويقرِّر ابن مالكٍ أنَّ حذف القول والاكتفاء بالمقول كثيرٌ في الاستعمال اللغوي، فيقول: "وأما الاستغناء بالمحكيِّ عن القول فكثيرٌ"(٥).

وبعد أن ساق ابن الشجري بعض شواهد على حذف القول قال: "فقد ترى هذه الأشياء كيف وقعت – لسعة اللُّغة – في غير مواقعها، ووليت ما ليس من شأنها أن تليَه، وحسَّن ذلك شيئًا ما ذكرته لك من اتّساع إضمار القول، حتى إنه في الإضمار بمنزلته في الإظهار، ألا ترى إلى كثرة إضماره في الكتاب العزيز:

كقوله تعالى(٦): ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ أي يقولون: ما نعبد هؤلاء الآلهة إلاّ للقربة إلى الله.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٣/ ١٢٩.

(٢) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ٣/ ٢٨٥.

(٣) مغني اللبيب، ٢/ ٧٠٢.

(٤) الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، ٤/ ٨.

(٥) شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك، ٢/ ٩٨.

(٦) الزمر: ٣

وكقوله تعالى[١]: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: يقولون ذلك.

وكقوله[٢]: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾، أي يقولون: إنَّا لمغرمون، أي معذَّبون، ...

وكقوله[٣]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ والتقدير: يقولون: ربَّنا أبصرْنا وسمعْنا، ...، فلما اتَّسَعَ حذف القول في كلامِهم استحسنوا إيقاعَه على هذه الأشياء محذوفًا"[٤].

واعتبر الطاهر ابن عاشور ذلك الحذف من مبتكرات القرآن الكريم، فقال: "وأعد من أنواع إيجازه إيجاز الحذف مع عدم الالتباس، وكثر ذلك في حذف القول، ومن أبدع الحذف قوله تعالى:[٥] ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾.

أي: يتذاكرون شأن المجرمين فيقول من علموا شأنهم: سألناهم فقلنا ما سلككم في سقر؟ قال في (الكشَّاف): قوله: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ ليس ببيانٍ للتساؤل عنهم، وإنما هو حكاية قول المسؤولين، أي أن المسؤولين يقولون للسائلين: قلنا لهم: ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين"[٦].

ويؤكد الدكتور عضيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجيء حذف القول كثيرًا في القرآن الكريم،

---

(١) الرعد: ٢٣-٢٤

(٢) الواقعة: ٦٥-٦٦

(٣) السجدة: ١٢

(٤) أمالي ابن الشجري، ٢/ ٤٠٧، ٤٠٨.

(٥) المدثر: ٤٠-٤١

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/ ١٢٢.

وأكثر حذف القول فيما كان حالًا مفردة أو جملة فعلية فعلها مضارع. وقد قُدِّرَ فعل القول المحذوف مضارعًا وأمرًا، وفعلًا مبنيًّا للمفعول، ماضيًا ومضارعًا، وقُدِّرَ القول مصدرًا في بعض المواضع. أما إذا كان الفعل صالحًا لأن يكونَ بمعنى القول اكتفى بذلك الكوفيُّون وأجروه مجرى القول، أمَّا البصريون فيقدرون قولًا محذوفًا(١).

حالات حذف القول:

قد أورد النحاة حالات ومواضع عديدة مما يحذف فيها القول ويبقى المقول ومنها:

أ- إضمار قول عند حذف المخصوص بالمدح أو الذم:

قد جاء في باب "نِعْمَ" من كتاب "همع الهوامع"، ما يتعلق بحذف المخصوص بالمدح وصفته وبقاء متعلقهما، يقول: "وأقلُّ منه أَن يحذف المخصوصُ وصفتُه ويبقى متعلقُهما، كقوله: بئس مقامُ الشَّيْخِ أمْرِسْ أمْرِسِ..."(٢)،

(١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القسم الثَّالث، الجزء الرَّابع، ص٣٤١.

(٢) هذا رجزٌ لم ينسب لقائل، وتمامه: بِئْس مَقامُ الشَيخِ أمرِسْ أمرسِ/ بَيْن حَوامي خَشَباتٍ يُبَّسِ/ إِمَّا عَلَى قَعْوٍ وإِمَّا اقْعَنْسِسِ. يقال: "مَرَس الحبلُ يَمْرُسُ" إذا وقع في أحد جانبي البكرة فإذا أعَدْته إلى مجراه قلت: "أمْرَسْتُه"، وتقدير الكلام: بئس مقام الشيخ المقام الذي يقال له فيه أمرسْ، وهو أن يعجز عن الاستقاء لضعفه. ويضرب بذلك المثل لمن يحوجه الأمر إلى ما لا طاقة له به. اقعنسس: تأخَّر ورجع إلى الخلف، والاقعنساس أن يطأطئ ظهره يريد أن يخلصه. والشاهد في البيت: قوله: «بئس مقام الشيخ أمرس أمرس» وهو شاهد على حذف المخصوص وصفته، وبقاء متعلقهما، وهذا قليل، أبقى مقول القول وحذف القول. قال ابن الشجريِّ: "أراد: بئس مقام الشيخ مقولًا له: أمرس أمرس، ذمَّ مقامًا يقال له ذلك فيه. ينظر: الإنصاف، للأنباري، ١/ ١١٦- أمالي ابن الشجري، ٢/ ٤٠٧، ٤٠٨ – شرح التسهيل، لابن مالك، ٣/ ٢٠.

أَي: مقَام مقولٍ فِيهِ: أمرس، أبقى مقول القَوْل"[١] فقد حذف هنا فعل القول أو ما ينوب عنه، وبقي المقول.

واستعرض ابن عقيل أيضًا ذلك الجدل حول "نعم وبئس" المرتبط بتقدير قولٍ محذوفٍ، فقال: "مذهب جمهور النحويين أنَّ "نِعْمَ وبِئْسَ" فعلان؛ بدليل دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما، نحو: نعمت المرأة هندٌ وبئست المرأة دَعْدٌ، وذهب جماعة من الكوفيين – ومنهم الفرَّاء – إلى أنهما اسمان، واستدلوا بدخول حرف الجر عليهما في قول بعضهم: "نعم السير على بئس العير"، وقول الآخر: "والله ما هي بنِعمَ الولد، نصرها بكاءٌ وبرها سرقة". وخرج على جعل نعم وبئس مفعولين لقول محذوف واقع صفة لموصوف محذوف، وهو المجرور بالحرف لا نعم وبئس والتقدير نعم السير على غير مقول فيه بئس العير. وما هي بولد مقول فيه نعم الولد. فحذف الموصوف والصفة، وأُقِيمَ المعمولُ مقامَهما مع بقاء نِعْمَ وبِئسَ على فعليتِهما"[٢]

ب- القول المضمر بعد أي الموصولة:

ورد في كتب النحو عند الحديث عن (أي) الموصولة، وهل هي معربة أم مبنية، ما يتعلق بإضمار قول، فقد قال المرادي: "الرابعة: أن تضاف ويُحذَف الصدر: كقوله تعالى[٣]: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾، فهذه تُبنَى لاجتماع الأمرين هذا مذهب سيبويه. خلافًا للخليل ويونس فإنهما لا يريان البناء، بل هي معربة عندَهما في الأحوال كلها، وتأوَّلا الآية. أما الخليل فجعلها استفهامية

---

(١) همع الهوامع ٣ / ٣٧.
(٢) شرح ابن عقيل ٣ / ١٦٠ – ١٦١.
(٣) مريم: ٦٩

محكية بقول مقدر، والتقدير: ثم لننزعن من كل شيعة "الذي" يقال فيه أيهم أشد...[١]. ويؤكد الأشموني هذا المنزع في تأويل قول محذوف في تلك الحالة من حالات "أيٍّ" فيقول: "فإن أُضِيفَت وحُذِفَ صدرُ صِلتِهَا بُنِيَت على الضمِّ، نحو: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ والتقدير: أيُّهم هو أشد. وبعض النحاة، وهو الخليل ويونس ومن وافقهما أعرَب أيًّا مطلقًا وإن أضيفت وحذف صدر صلتها، وتأوَّلا الآية: أما الخليل فجعلها استفهامية محكية بقول مقدر، والتقدير: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ ﴾ الذي يقال فيه قال تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾[٢]، وقال بذلك الصبان في حاشيته على شرح الأشموني[٣].

وقد انتقل هذا الجدل عن (أي) في هذا الموضع إلى كتب التفسير، يقول النيسابوري مستعرضًا الخلاف بين النحويين فيها ومن ثم في تفسير الآية: "قُرِئَ بالنَّصب، وهو ظاهر "أيَّهم"، وأما المقتصرون على الضم فذهب سيبويه إلى أنها مبنية؛ كي لا يلزم خلاف القياس من وجهين:

- أحدهما إعراب أيٍّ، مع أن من حق الموصول أن يُبنَى، والآخر حذف المبتدأ مع الأصل فيه أن يكون مذكورًا والتقدير: أيهم هو أشد.

- وذهب الخليل إلى أنها معربة، ولكنها لم تُنصَب على أن تكون مفعول "لَنَنْزِعَنَّ" بل رفعت بتقدير الحكاية، أي: من كلِّ شيعةٍ مقول فيهم أيُّهم أشدُّ، فيكون من كل شيعةٍ مفعول "لَنَنْزِعَنَّ"، كقولك: «أكلت من كلِّ طعامٍ» أي بعضًا من كل. ويجوز أن يقدّر لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد، قال سيبويه: لو جاز «اضرب

---

(١) توضيح المقاصد ١ / ٤٤٩.

(٢) شرح الأشموني على الألفية، ١/ ١٥٢ – ١٥٣.

(٣) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني، ١/ ٢٤٢.

أيهم» أفضل على الحكاية لجاز «اضرب الفاسق الخبيث» أي الذي يقال له الفاسق الخبيث، وهذا باب قلما يصار إليه في سعة الكلام(١).

وذكر الرمانيُّ ثلاثة أوجهٍ في رفع "أي"، واستحسن ما رآه الخليل فقال: "فأما من رفع أيهم ففي ذلك للنحويين ثلاثة أقوال:

- رفعه على الحكاية، كأنه قال: ثم لننزعنَّ قائلين: أيُّهم أشدُّ. وهذا وجهٌ حسنٌ؛ لأنَّ في ننزع دليلًا على معنى القول؛ لأنه ينزع بالقول.

-والوجه الثاني: قول سيبويه إنها بمعنى الذي، إلا أنَّ صلتَها لمَّا حُذِفَ منها العائد بُنِيَت على الضمِّ، فيجوز على هذا: لأضربنَّ أيُّهم قائلٌ لك شيئًا، ولا يجوز على قول الخليل.

-والوجه الثالث: قول يونس: إن قوله تعالى: ﴿لَنَنزِعَنَّ﴾ معلَّقةً كما يُعلَّق العلم في قولك قد علمت أيهم في الدار(٢).

وقد ضعَّف الدكتور إبراهيم أنيس رأي الخليل في تقدير فعل قولٍ محذوف، وصحَّحَ ما ذهب إليه سيبويه، وأمَّا قول الخليل: إنَّه مرفوع على الحكاية؛ فرآه ضعيفًا؛ فالحكاية إنَّما تكون بعد جري الكلام فتعود الحكاية إليه، وهذا الكلام يصحُ ابتداءً من غير تقدير قول قائلٍ قالَه(٣).

ج- إضمار قول عند وقوع النعت جملة طلبية:

يقول ابن عقيل: "امنع وقوع الجملة الطلبية في باب النعت، وإن كان لا يمتنع في باب الخبر، ...، فإن جاء ما ظاهره أنه نعت فيه بالجملة الطلبية فيُخرَّج على

---

(١) تفسير النيسابوري، ٤/ ٥٠٢.

(٢) رسالة منازل الحروف، لأبي الحسن الرمَّاني، ص ٤٤.

(٣) أسرار العربية، لابن الأنباري، ص ٢٦٥.

إضمار القول، ويكون القول المضمر صفة والجملة الطلبية معمول القول المضمر، وذلك كقوله:

حتَّــى إذا جَــنَّ الظَّــلامُ واخْــتَلَطْ جاؤُوا بمذقٍ هَلْ رَأيتَ الذِّئبَ قطْ[١]

فظاهر هذا أن قوله "هل رأيت الذئب قط" صفة ل "مذق" وهي جملة طلبية ولكن ليس هو على ظاهره بل هل رأيت الذئب قط مقول لقول مضمر هو صفة ل "مذق" والتقدير: بمذق مقول فيه هل رأيت الذئب قط[٢].

ويقول الشيخ خالد الأزهري في هذا الشاهد "ظاهره أنَّ جملة الاستفهام – وهي: هل رأيت الذئب قط – نعت لـ: مذق، فوجب تأويلها على أن الصفة قول محذوف، وجملة الاستفهام معمول الصفة، "أي: جاءوا بلبنٍ مخلوطٍ بالماء مقولٍ عند رؤيته: هل رأيت الذئب قط؟ وقال ابن عمرون: الأصل: بمذق مثل لون الذئب، هل رأيت الذين يقولون: مررت برجلٍ مثل كذا، هل رأيت كذا...، ثم حذف "مثل لون الذئب" وبقي: هل رأيت الذئب؟ فتأوَّلوه بمقولٍ عند رؤيته "هذا الكلام"، فـ: "مقول" هو الصفة وجملة الاستفهام معمول لها"[٣].

ويرى أبو القاسم السهيلي أن هذا الاستفهام من باب المبالغة والتفخيم، فهو من باب قولك: مررت برجلٍ أيِّ رجلٍ، فإنما تدرجت إلى الصلة من الاستفهام، كأن الأصل: أي رجل؟ على الاستفهام الذي يراد به التفخيم والتهويل، وإنما دخله

---

(١) ينسب بعض الناس هذا الرجز إلى العجاج بن رؤبة، ولكن الأكثرين على أنه لراجز لا يُعلَم، وجنَّ الظلام: اشتدَّ سواده. واختلط: اعتكر. والمذق: اللبن المخلوط بالماء. ومعنى الرجز: يقول هاجيًا قومًا بخلاء: لما حلَّ الظلام قدموا لنا لبنًا ممزوجًا بالماء فصار شبيهًا بلون الذئب في كدرتِه.
انظر: الإنصاف ١/ ١١٥، ١١٦ – مغني اللبيب ١/ ٢٤٦، ٢/ ٥٨٥ – شرح الأشموني، ٢/ ٣٢٢.

(٢) شرح ابن عقيل، ٣/ ١٩٩– ٢٠٠.

(٣) شرح التصريح على التوضيح، ٢/ ١١٧.

التفخيم لأنهم يريدون إظهار العجز والإحاطة بوصفه، فكأنه مما يستفهم عنه إذ يجهل كنهه، فأدخلوه في باب الاستفهام الذي هو موضوع لما يجهل، لذلك قال الله سبحانه[١]: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، وقال تعالى[٢]: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ أي: إنها لا يحاط بوصفها. فلما ثبت هدا اللفظ في باب التفخيم والتعظيم للشيء قَرُبَ من النعت والوصف، حتى أدخلوه في باب النعت، وأجروه في الإعراب ما قبله. ولشدة كدرة اللبن في بيت الرجز فإنه في لون الذئب، هل رأيت الذئب؟ أو: إن كنت رأيتَ الذئب. تهويلًا ومبالغةً في التشابه بينهما، كما يقول القائل: مررتُ بفارسٍ شجاعٍ، هل رأيت الأسد؟[٣].

وقريب من ذلك ما طرحته بعض البحوث أنَّ جملة: هل رأيت الذئب قطُّ، وإن كان ظاهرها الطلب إلا أنها في حقيقة أمرها خبريَّةٌ تقريريَّةٌ، تعني: جاؤوا بمذَقٍ يشبه لون الذئب، وذلك لأنَّ النّغمةَ الصَّوتيَّةَ تشير إلى معنى الإخبار، وليس إلى معنى الاستفهام[٤].

وقد اعترض الدكتور: رمضان عبد التواب رَحِمَهُ ٱللَّهُ على توجيه النحاة الذين قدَّروا فعل قول محذوف في تركيب البيت ورآه متعسفًا، وأكد أنَّنا هنا لسنا في حاجة لتأويل النحاة، وادعائهم حذف الوصف، وأن الأصل: بمذقٍ مقولٍ فيه: هل رأيتَ الذئبَ قطُّ، وأن الجملة الطلبية معمولة لهذا القول المقدَّر، فما قصد العجَّاج إلى

---

(١) القارعة: ١-٢

(٢) الحاقة١-٢.

(٣) انظر: نتائج الفِكَر للسهيلي، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٤) دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، د. سامي عوض، عادل نعامة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٢٨)، العدد (١) ٢٠٠٦م، ص ٩٢.

شيء من هذا! وعلل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجهتَه تلك بأن النفس الإنسانية بما يعتورها من حالات الرضا والسرور، والغضب والنفور، والاستحسان والاشمئزاز، وغير ذلك، ينعكس أثرها على اللغة في تطورها وحياتها؛ والشاعر في حالة نفسية معينة قد يرى الاستغناء عن ربط الجمل بعضها ببعض واستعمال أشباه الجمل، وغير ذلك(١).

د- إضمار قول مع الفاء بعد "أمَّا":

ومن المواضع التي تحدث فيها النحاة عن حذف القول وبقاء المقول: وقوع القول في جواب أمَّا، وهنا تدخل الفاء على القول، ثم يحذف كل من القول والفاء، قال الأزهري وهو يتكلم عن أمَّا: "إلا إن دخلت "الفاء" على قول قد حُذِفَ استغناءً عنه بالمقول، فيجب حذفها معه للاستغناء عنهما بالمقول، كقوله تعالى(٢): ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾، فـ"أكفرتم": مقول لقول محذوف. والقول ومقوله جواب أما "أي: فيقال لهم: أكفرتم(٣).

وقد ابتدأ ابن فارس بتلك الصورة التركيبية في "باب إضمار الأفعال" من كتابه "الصاحبي" فقال: باب إضمار الأفعال، من ذلك: "قيل، ويقال". قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ معناه: فيقال لهم؛ لأنَّ أمَّا لا بد لها في الخبر من فاء، فلما أُضمِرَ القولَ أُضمِرَ الفاء(٤).

فـ[أمَّا] تحتاج إلى جواب، والفاء تلزمه أبدًا. وليس في الآية جواب ولا فيها فاء، كما يبدو في الظاهر. وسبب ذلك أنّ في الآية حذفًا، إذ الأصل: [فأما الذين اسودَّت وجوههم فيقال لهم: أَكفرتم بعدَ إيمانكم؟] وحذفُ فعل القول في التنْزيل العزيز كثير.

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢) آل عمران: ١٠٦

(٣) شرح التصريح، ٢ / ٤٢٩.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لابن فارس، ص ١٧٧/ ١٧٨.

أما حذف الفاء فإنه – كما يقرر السيوطي – يجوز في سعة الكلام إذا كان هناك قول محذوف كآية آل عمران، فالأصل: "فيقال لهم أكفرتُم"، فحذف القول استغناءً عنه بالمقول، فتبعتْه الفاءُ في الحذف، ورُبَّ شيءٍ يصحُّ تبعًا ولا يصحُّ استقلالًا، هذا قول الجمهور، وزعم بعض المتأخرين أنَّ الفاء لا تُحذَف في غير الضرورة أصلًا، وأنَّ الجواب في الآية: "فَذُوقُوا العَذَابَ" والأصل: فيقال لهم ذوقوا، فحذف القولَ، وانتقلت الفاءُ للمَقُولِ، وأنَّ ما بينهما اعتراضٌ. ومن أجل ذلك أيضًا لم يَلِهَا فعلٌ؛ لأنها لما قُدِّرَت بـ "مهما يكن" وجعلوا لها جوابًا تعذَّر إيلاؤها الفعلَ من حيث أنَّ فعل الشرط لا يليه فعلٌ إلا إن كان جوابًا. والفرض أنَّ ما بعد الفاء جواب(١).

الأغراض الدلالية – البلاغية لحذف فعل القول:

وعن الأغراض الدلالية لحذف فعل القول، فإن الحذف بعامة "باب رقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ"(٢).

والحذف يفيد في إيجاز الكلام وتركيز المعنى؛ "فحذف ما شأنه الذكر يوجِّه ذهن السامع إلى المذكور، ويزيد من تركيزه عليه، وأضف إلى هذا الاستغناء عن العلاقات التي لا تحتاج إلى إظهارها، وربما حسن تركها لفطنة المخاطب"(٣).

والجدير بالملاحظة حذف فعل القول مع محورية الفعل في أي جملة فعليَّة، فرغم أن الفعل من أهم مقومات الجملة وينبغي الحرص على ذكره ليستوفي الكلام

---

(١) همع الهوامع، ٢/ ٥٧٩.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ١٤٦.

(٣) اللغة والإبداع، د. شكري عيَّاد، ص ١١١.

كل دلالاته، إلا أنه يُترَك إظهاره أحيانًا لدلالة القرائن والملابسات عليه دلالةً يصير ذكرُه معها تطويلًا لا غناء فيه"[١]، ولهذا عُدَّ الحذف إيجازًا ويكثر حذف الفعل لدلالة الكلام عليه.

وتحت عنوان "الأغراض البلاغيّة للحذف" ذكر الأستاذ مصطفى أبو شادي في كتابه "الحذف البلاغي في القرآن الكريم" أحد عشر غرضًا بلاغيًّا وهي: "الأوَّل: الاختصار، والثاني: التنبيه على أنّ الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأنَّ الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهمِّ، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء، والثالث: التفخيم والإعظام؛ والرابع: التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما حذف حرف النداء، والخامس: كونه لا يصلح إلا له كما في قوله تعالى[٢]: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ والسادس: شهرته حتَّى يكون ذكره وعدمه سواء، والسابع: صيانته عن ذكره تعظيمًا وتشريفًا، والثامن: صيانة اللسان عنه تحقيرًا، التاسع: قصد العموم، والعاشر: رعاية الفاصلة، والحادي عشر: قصد البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة نحو قوله تعالى[٣]: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي فلو شاء هدايتكم"[٤].

وقد تحدَّث الدكتور الجوَّاري عن كثرة حذف فعل القول وأكَّد أنه للتنبيه وإعمال الفكر وإدراك قيمة المحذوف، فالحذف هنا "أشبه ما يكون بلوحةٍ أسقط منها ما لا حاجة به من خطوطٍ؛ ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع، أو صورةٍ قُصِدَ فيها إلى إهمال ما لا يتعلَّق بالمعنى أو الفكرة التي أُرِيدَ التعبير عنها، والالتفات إلى الأصل والأساس، وفيه أيضًا من ضروب الانقطاع الذي يحمل السامع أو القارئ

(١) نحو القرآن، د. أحمد عبد الستار الجواري، ص ٣٨.

(٢) الأنعام: ٧٣

(٣) الأنعام: ١٤٩

(٤) انظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى أبو شادي، ص ١٤٩ – ١٥١.

على توقُّع أمرٍ ذي بالٍ ولو اتصل الكلام لما أثار قدرًا من الانتباه والاهتمام الذي يثيره الانقطاع، كالذي يسير في طريقٍ ممهَّدةٍ لاحبةٍ تقوده قدماه حتى لا يعود يلتفت حوله، ولا ينتبه لما يحيط به حتى يفجأه انحرافٌ في الطريق أو التواءٌ أو انقطاعٌ، يسلم إلى منحدرٍ أو مرتقًى، فيفتح عينيه، ويُرهِف حواسَّه لما يأتي بعد ذلك الانقطاع"[1].

• **أولًا**: التركيز على المهم، فبحذف فعل القول يزيد التركيز في النص؛ إذ يُسلَّطُ الضوءُ فقط على جملة مقول القول التي هي المقصد من الكلام وموضع اهتمام السامع.

• **ثانيًا**: تعميم القائل، فحذف فعل القول يؤدِّي إلى حذف الضمير الظاهر أو المستتر فيه الذي يشير إلى الفاعل، مما يؤدي إلى تعدد الاحتمالات في تقدير القائل، وكذلك سيجعل القارئ لهذا القول يشعر وكأنه هو القائل له مما يزيد من تأثيره فيه.

• **ثالثًا**: عدم تقييد جملة مقول القول بزمن فعل القول، سواءً أكان ماضيًا أم حاضرًا أم مستقبلًا؛ لكي تعطيَ دلالة الإطلاق، فكلما قرأ شخص القول أو سمعه سيشعر بأنه موجه له وقت قراءته أو سماعه له.

• **رابعًا**: زيادة التهويل والتعظيم؛ فحذف فعل القول والدخول مباشرةً إلى جملة مقول القول يزيد من تأثير الكلام في نفس القارئ أو السامع، ويقوي رهبته منه؛ فيكون وقع الكلام عليه أشد ودلالته أبقى وأثبت ممَّا لو قدَّم له بمقدمة.

• **خامسًا**: تنبيه السامع إلى جملة مقول القول وأهميتها بصدمة بغير المتوقع، فمن خلال حذف فعل القول (الفعل الرابط) يحدث انقطاع أو انتقال في الكلام من طريقة إلى أخرى تجعل السامع ينتبه ويهتم لما سيأتي بعد ذلك الانقطاع، فهذا الانقطاع يقرع أسماعًا غير مصغية ويهز مشاعر غير صاغية وأكثر ما يكون الأسلوب

(١) في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، ص ٢٢٢.

حين يراد إبراز المعنى إبرازًا يزيد في قيمته وفي أهميته[١].

والأهمية الخامسة لحذف فعل القول هي ما اصطلح البلاغيون بفن "الالتفات"، وهو "تحويل في التعبير الكلاميِّ من اتجاهٍ إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلُّم – والخطاب – والغيبة"، مع أنَّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أولًا دون التحوُّل عنها"[٢].

المبحث الثاني: حذف فعل القول في سورة البقرة:

وبعد أن عرضنا للجانب التنظيري في قضايا جملة القول، وركَّزنا الحديث عن حذف فعل القول وأغراضه البلاغية وصوره التركيبية، أُفرد هذا المبحث لدراسة طائفة من الآيات الكريمة التي تم حذف فعل القول منها في سورة البقرة، من خلال تأملات في السورة الكريمة، واستقراء لتلك المواضع من كتب التفسير أتينا على هذه المواضع لدورانها في تنوع الحذف جملة.

۞ **الآية الأولى: قوله تعالى:**[٣]﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾.

يقول العكبريُّ: "والمفعولُ القائمُ مقامَ الفاعل مصدرٌ، وهو القولُ، وأُضْمِرَ؛ لأنَّ الجملةَ بعدَه تُفسِّرُه. والتَّقديرُ: وإذا قيلَ لهمْ قولٌ هو لا تُفْسِدُوا. ونظيرُه قوله تعالى:[٤] ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾، أَيْ: بدا لهم بُداءٌ

(١) نحو القرآن، د. أحمد عبد الستار الجواري، ص ٣٨.

(٢) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن الميداني، ص ٣٨ – ٣٩.

(٣) البقرة: ١١

(٤) يوسف: ٣٥

ورَأيٌ "[١].

وما قاله العكبري يعني أنَّ مصدرًا قام مقام الفاعل وكان أصلُه مفعولًا به، حيث بُنِيَ الفعل للمجهول، وأُضمِرَ هذا المصدر، وحُذِفَ؛ لأنَّ جملة﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾.

ليس هي مقول القول، بل هي جملة تفسيرية، **فلا موضع لها من الإعراب؛ لأنها مفسرة لذلك المضمر الذي هو القول**، فاحتاج التركيب إلى إضمار مصدر وهو (قول)؛ فالمفعول القائم مَقَام الفاعِل مصدر، وهو القول، وأُضمِرَ لأنَّ الجملة بعد تفسِّرُه، ولا يجوز أن يكون «لا تُفسِدُوا» قائمًا مقام الفاعل؛ لأن الجملة لا تكون فاعلًا، فلا تقوم مقام الفاعل[٢].

وهذا الحذفُ من قبيلِ الإيجاز المرتكز على وعي المتلقي وفهمه للفراغ المتروك، فمضمون التركيب أن هناك قولاً قيل لهم هو "لا تفسدوا في الرض"، ومن ثم فمصدر القول مفهومٌ ضمنًا من التركيب؛ بل إن قارئًا قد يمر ولا يستشعر بهذا القول المحذوف للسبك التركيبي الشديد بين فعل القول المبني للمجهول وبين جملة القول بما لا يدع مجالاً لذكر مصدر القول.

والتركيب القرآني يعمد إلى الاقتصاد اللغوي، والاختزال التركيبي، ويشير إلى المعنى إشارة معبرة موحية تغني عن الكلام الطويل والسرد المملول، ويفسح مجالاً لتدبر التالي لآياته والمتأمل في تراكيبه وعباراته كي يشارك بذائقته وحسِّه اللغوي في التئام التراكيب المختزلة في مجالها التفسيري، وتفسح لعقله مجالاً لإمعان النظر في اللبنات المستترة وراء وحدات التركيب.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، ١/ ٢٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان، ١/ ١٠٦ – اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ١/ ٣٤٩.

فضلاً عن ذلك؛ فالاهتمام القرآني بما قيل للمنافقين وما قالوه لم يكن معه مجالٌ لاتساع التركيب بذكر مصدر القول، فالضوء مركَّز على ما قيل لهم، وما أجابوا به؛ لأن انسيابية التركيب واسترسال المعاني لا يحتاج لمصدر القول الذي حتمًا سيعيق هذه السيولة التركيبية.

۞ **الآية الثانية: قوله تعالى:**(١) ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

يشير الطبريُّ إلى أن في الآية قولًا محذوفًا، فيقول: "هذا مما استُغنِيَ بدلالة ظاهرِه على ما ترك منه. وذلك أنَّ تأويل الآية: وظللنا عليكم الغمام، وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى، وقلنا لكم: كلوا من طيبات ما رزقناكم. فترك ذكر قوله: "وقلنا لكم"، لما بيَّنا من دلالة الظاهر في الخطاب عليه(٢)، وهو لم يكتفِ برصد ظاهرة حذف القول وإنما علل ذلك بالاكتفاء النصي، حيث استغنى النص بما هو مذكور للدلالة على ما هو محذوف.

وممن أشار إلى حذف القول هنا البيضاوي اختصارًا، فرأى أنَّ الجملة الطلبيَّة ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ﴾ على إرادة القول(٣). وورد اختصارًا في اللباب لابن عادل: ﴿كُلُوا۟﴾ هذا على إضمار القول، أي: وقلنا لهم: كُلُوا، وإضمارُ القولِ كثيرٌ"(٤).

أما أبو حيان فقد أشار للحذف وعلله كالطبري، فقال: "وهاهنا قولٌ

---

(١) البقرة: ٥٧

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، ٢/ ١٠١.

(٣) أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، ١/ ٨٢.

(٤) اللباب في علوم الكتاب، ٢/ ٩١.

محذوفٌ، أي: وقلنا: كلوا، والقول يُحذَف كثيرًا ويبقى المقول؛ وذلك لفهم المعنى، ومنه: {أَكَفَرتُم}؟ أي: فيقال: {أَكَفَرْتُم}، وحذف المقول، وإبقاء القول قليل"(١).

وقدَّر الألوسيُّ القول المحذوف بالفعل "وقلنا"، فهي لا محل لها لأنها معطوفة على جملة ابتدائية أو استئنافية، وقدَّرها كذلك بمشتق منصوب على الحالية "قائلين"(٢).

وصَرَّح ابن عاشور في "التحرير والتنوير" بحذف القول وعلَّلَه أيضًا، فقال: "وقوله: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، مقول قولٍ محذوف؛ لأنَّ المخاطبين حين نزول القرآن لم يُؤمَروا بذلك؛ فدل على أنه من بقية الخبر عن أسلافهم"(٣). وقد صرَّح الشنقيطي بحذف القول أيضًا فقال: "وَقوله: {كُلُوا} في هذه الآياتِ مقولُ قولٍ محذوفٍ، أَيْ: وقلنا لهم: "كُلُوا"(٤).

من خلال أقوال المفسرين في الآية نستنتج اتفاقهم على تقدير قول محذوف قبل الجملة الأمريَّة، وأنَّ ذلك من قبيل الاكتفاء بالمذكور للدلالة على المحذوف.

وأرى – إضافةً لما ذكره المفسرون – ثلاثة أوجه إضافيَّة تعلل حذف فعل القول في تلك الآية الكريمة:

-**الأول**: أنَّ الحق – جل شأنه – لما عرض في سياق الامتنان على بني إسرائيل لمظاهر نعمته ودلائل بركته وفيوض عطاياه لبني إسرائيل؛ أتبع ذلك مباشرةً

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان، ١/ ٣٤٧.
(٢) ينظر: روح المعاني، للألوسي، ١/ ٢٦٥.
(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/ ١٥٠.
(٤) أضواء البيان، للشنقيطي، ٤/ ٧٥.

بنتيجة تلك العطايا الربانية، ألا وهي الإذن لهم بالأكل من خيرات ربهم التي امتنَّ بها عليهم، فكأنَّ فعل القول كان سيمثِّل عائقًا تركيبيًّا بين مقدمة الامتنان بفيوض الإحسان وبين نتيجة تلك المنن والنعم، فكان اطراحه أبلغ من ذكره.

-**الثاني**: حذف الفعل هنا أثبت سعة الرحمة الإلهية وسرعة إسباغ النعمة الربانية عليهم بعدما بدرت من أفواههم مقولات الكفر والجحود والتشكيك في وجود الرب، جلَّ شأنه، فها هو الرب – سبحانه – أحياهم بعد موتهم، وعفا عنهم بعد ما طلبوا رؤية الله كفاحًا جهارًا، وظلل عليهم الغمام، ويسَّر لهم أطايب المطعم والمشرب بالمن والسلوى، والأمر لهم بالتمتع بذلك لا يحتاج لفعل قول، بل "كلوا" هكذا مطلقةً سريعةً لا عائق أمامها، ولا حائل دونها، ولو حتى فعل قول! ثم ما كان منهم إلا معاودة الظلم وكأن النفس المتلطخة بدنس الشرك والجحود تأبى التطهر بشآبيب التوحيد والشكران، رغم توالي النعم، وتواتر المِنَح والعطايا.

-**الثالث**: الخطاب لقومٍ سالفين ما عادوا يسمعون القرآن، فالأمر بالأكل كان لأسلاف بني إسرائيل، ولكن الحق – جل شأنه – خاطب بفعل الأمر "كُلُوا" وكأنه يخاطب أحياءهم لا أسلافهم، وفي ذلك استدعاء لمشاهد النكران ومواقف الجحود من قِبَل الأسلاف أمام أعين أخلافهم كي لا يكونوا أمثالهم. ولأنَّ الأخلاف مضوا على نكران فضل الله وجحود نعمته كما كان أسلافهم؛ جاء هذا الفعل المخاطِب للحاضرين محذوفًا منه القول المقدَّر ليخاطبهم أيضًا بما خاطب به أسلافهم، فهم – سابقهم ولاحقهم – على منوال الجحود ومنهج الكفران.

۞ **الآية الثالثة: قوله تعالى**[1]: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب

(١) البقرة: ٦٠

بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾.

ألمح الإمام الطبري أن في الآية فعل قولٍ محذوفًا، وأنَّ حذفه جارٍ على سنَّة الكلام العربي في الاستغناء بالمذكور عما لم يُذْكر، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا أيضًا مما استُغْنِيَ بذكر ما هو ظاهر منه عن ذكره ما تُرِك ذكرُه. وذلك أن تأويل الكلام: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ﴾ فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، قد علم كلُّ أناسٍ مشربَهم، فقيل لهم: كلوا واشربوا من رزق الله. أخبر الله جل ثناؤه أنه أمرهم بأكل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى، وبشرب ما فجر لهم فيه من الماء من الحجر المتعاور الذي لا قرار له في الأرض، ولا سبيل إليه إلا لمالكيه، يتدفق بعيون الماء، ويزخر بينابيع العذب الفرات، بقدرة ذي الجلال والإكرام"(١).

ويبين ابن عطية في "المحرر الوجيز" أنَّ في الكلام محذوفًا تقديره: "وقلنا لهم كلوا المن والسلوى واشربوا الماء المنفجر من الحجر المنفصل"، وبهذه الأحوال حسنت إضافة الرزق إلى الله تعالى، وإلا فالجميع رزقه وإن كان فيه تكسب للعبد(٢).

ويصرِّح الطاهر ابن عاشور بأن في الآية مقولَ قولٍ محذوفًا، وقد جمع بين الأكل والشرب وإن كان الحديث على السقي لأنه قد تقدَّمَه إنزال المنِّ والسَّلوَى، وقيل هنالك: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ﴾ فلما شفع ذلك بالماء اجتمع المنتان(٣).

---

(١) جامع البيان، للطبري، ٢/ ١٢٢.

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية، ١/ ١٥٢.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/ ٥١٩.

وتابعه الدكتور طنطاوي في "التفسير الوسيط" فقال: "وقوله تعالى[١]: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ مَقُولٌ لقولٍ محذوفٍ تقديرُه: وقلنا لهم: كلوا واشربوا من رزق الله. وقد جمع- سبحانه- بين الأكل والشرب، وإن كان الحديث عن الشراب؛ لأنه قد تقدَّمَه إنزال المنِّ والسَّلوَى، وقد قيل هنالك: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ فلمَّا أتبعَ ذلك بنعمة تفجير الماء لهم اجتمعت المنَّتانِ"[٢].

نلحظ من أقوال أئمة التفسير أنَّ الجملة الطلبية: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ﴾ هي مقول قولٍ محذوف، وعليه فهي جملة في محل نصبٍ، ونلحظ أنهم ربطوا تلك الآية بآية الأكل من المن والسلوى، وبيَّنوا أن زيادة الأمر بالشرب هنا بعد معجزة تفجير الماء من قبيل اجتماع المنن وتواتر الفضل وإسباغ النعمة على بني إسرائيل.

وثمة عدة ملامح دلالية يمكن الوقوف عليها في حذف فعل القول في الآية:

أولها: حذف القول هنا مناسب لسياق الحال؛ فالقوم عطشى ولا يجدون الماء، وقدرة الله الباهرة فجَّرت لهم من الحجر الصلد اثنتي عشرة عينًا، وإيجاد الماء بقدرة الله يستلزم أمرًا لإحلال هذا الماء لهم وتقسيمه فيهم، فجاء الأمر مجردًا من فعل القول لشدة اشتياقهم للماء، وحاجتهم الماسَّة لإذن إلهي في الشرب منه.

ثانيها: تفجير الماء نعمة كبرى، وتمليكهم للماء نعمة أكبر، وإحلال هذا الماء لهم كي يشربوا منه أَتَمَّ الله به النعم وأسبغَها، فجاء الأمر بإحلال الشرب بعد الامتنان بإيجاد الماء وتمليكه إياهم محذوفًا فعلُ قولِه لتوالي النعم والتأكيد على الامتنان

---

(١) البقرة: ٦٠

(٢) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ١/ ١٤٥.

الإلهي المتصاعد والمتداخل في الآية، حتى لا يكون بين تلك المنن والنعم حوائل تمنع من انسيابية التركيب اللغوي وتدفق المعاني السياقية المقصود تواليها وتتابعها.

ثالثها: لما كان توالي النعم وتتابعها قد يُنسِي الإنسان ربه فيطغى بتلك النعم؛ جاء النهي عن عيثهم في الأرض فسادًا، معطوفًا على جملة القول المحذوف فعله؛ لتدخل تحت سلطان الفعل المحذوف وتجعل من جملة النهي ذات محل إعرابي بالعطف على جملة القول المحذوف، وكذلك لارتباط الإذن بالتنعم بنعم الله والتمتع بها ارتباطًا وثيقًا بالنهي عن الإفساد في الأرض ونسيان المنعم جل شأنه.

رابعًا: آثَرَ النَّصُّ الكريمُ فعلَ العيث، وكان له مغزى دلالي من هذا الفعل، فالعيثُ أشدُّ الفساد، ومفسدين حالٌ مُؤكِّدة، أي: لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم؛ لأنَّهم كانوا مُتمَادِين فيه[1]. وبذلك فالفعل له منحيان دلاليان:

الأول: إثباتُ الفَسَاد لهم وتماديهم فيه، فهو - وإن كان فعلًا طلبيًّا- إلا أنَّه حَمَل دلالةً إخباريَّة.

الثاني: الدلالة الأصلية للفعل بنهيهم عن التمادي في فسادهم الذي بلغ ذروته، فقد أثبت أنَّهم فاسدون، ثمَّ حذرهم من التمادي في الفساد.

۞ الآية الرابعة: قوله تعالى[2]: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾.

وقع خلافٌ في تفسير هذه الآية، هل نقدِّر فعل قول محذوف في الجملة الطلبية ﴿ **خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ** ﴾ أم أنَّ أخذ الميثاق قولٌ في حد ذاته فلا حاجة

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، ١/ ٥٥.

(٢) البقرة: ٦٣

لتقدير قول محذوف، وقد عرض الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الخلاف فقال: "اختلف أهل العربية في تأويل ذلك. فقال بعض نحويي أهل البصرة: هو مما استغني بدلالة الظاهر المذكور عما تُرِكَ ذكرُه له. وذلك أن معنى الكلام: ورفعنا فوقكم الطور، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بقوة، وإلا قذفناه عليكم. وقال بعض نحويي أهل الكوفة: أخذ الميثاق قولٌ فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قول فيه، فيكون من كلامين، غير أنَّه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام – الذي هو بمعنى القول – أن يكون معه "أن"، كما قال الله جل ثناؤه[١]: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ قال: ويجوز أن تحذف "أن". والصواب في ذلك عندنا: أنَّ كلَّ كلامٍ نُطِقَ به، مفهومٌ به معنَى ما أُرِيدَ؛ ففيه الكفاية من غيره"[٢].

ونلحظ ترجيح الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لنظرة الكوفيين التي تعزز فكرة الاكتفاء النصي، فلا حاجة لمزيدٍ من التقديرات والتأويلات، خاصَّة أنَّ أخذَ الميثاق يحتمُّ ضمنيًّا وقوع القول. وقال الزمخشري في "الكشاف": ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ على إرادة القول. أي: وقلنا خُذُوا ما آتيناكم، أو قائلين: خذوا ما آتيناكم من الكتابِ بِقُوَّةٍ وعزمٍ على احتمال مشاقِّه وتكاليفِه وَاذْكُرُوا ما فِيهِ من الأوامر والنواهي ولا تنسوه[٣].

وقال أبو حيان: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ هو على إضمار القول، أي: وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم. وقال بعض الكوفيين: لا يحتاج إلى إضمار قول؛ لأنَّ أخذ الميثاق هو قول، والمعنى: وإذ أخذنا ميثاقكم بأن خذوا ما آتيناكم"[٤]. وقطع ابن عطية بقول

---

(١) نوح: ١

(٢) جامع البيان، للطبري، ٢/ ١٦٢.

(٣) الكشاف، ٢/ ١٧٥.

(٤) البحر المحيط، ١/ ٣٩٣.

البصريين في تقدير قولٍ محذوفٍ فقال: "قوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ في الكلام حذفٌ تقديره: وقلنا خذوا"(١). ومثله البيضاوي حيث قال: "{خُذُوا} على إرادة القول"(٢).

وذهب إلى ذلك الواحدي في التفسير الوسيط يقول (قيل لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ وكان فيما آتاهم الله تعالى الإيمان بمحمد ﷺ وفي هذه الآية إضمار، لأن المعنى: وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم"(٣). وقدَّر الطاهر ابن عاشور القول المحذوف مشتقًّا منصوبًا على الحالية، فقال: "وقوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ مقول قول محذوف تقديره: قائلين لهم خذوا، وذلك هو الذي أَخَذَ الميثاقَ عليه"(٤).

وفي "التفسير الوسيط": "قوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم﴾ مقول لقولٍ محذوفٍ دل عليه المعنى، والتقدير: وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة، أي: تمسَّكوا به، واعملوا بما فيه يجد ونشاط، وتقبلوه، واجتنبوا نواهيَه، واعملوا ما جاء به بدون تردُّدٍ"(٥). فالجملة في محل النَّصب مقول لقولٍ محذوف معطوف على ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا﴾ تقديره: وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم، أو حال من فاعل رفعنا، تقديره: ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا(٦).

إن المقام الذي تحكي عنه الآية الكريمة لا يحتمل ظهور فعل القول، فالطور مرفوع فوق بني إسرائيل كأنه ظُلَّةٌ؛ بيانًا لقدرة الله عليه وترهيبًا لهم من متابعة

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية، ١/ ١٥٩.
(٢) أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، ١/ ٨٥.
(٣) التفسير الوسيط للواحدي، ١/ ١٥١.
(٤) التحرير والتنوير، ١/ ٥٤٢.
(٥) التفسير الوسيط، د. طنطاوي، ١/ ١٥٩.
(٦) يُنظَر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ١/ ٤٧١.

بغيهم وفسادهم وانحرافهم عن سبيل التوراة، فكان الأمر بأخذ الكتاب بقوَّةٍ مباشرٌ لفعل الرفع دون الربط بحرف نسقٍ، ودون ذكر فعل القول لملاءمة موقف التهديد والوعيد الذي تتابع فيه الجمل بانسيابية سياقية وتدفق في المعاني لا يحتمل أي معيقاتٍ ولو بدت أنها مقصودة من تأمُّل التركيب.

وفي حذف فعل القول هنا استحضارٌ لمشهد قلع الطور ورفعه أمام أعين بني يهود ممن لم يدركوا تلك الواقعة العظيمة في أجدادهم وأسلافهم، فخاطبهم خطابًا أمريًّا باتباع كتابه وانتهاج سبيله؛ كي يبقى الأمر صالحًا للأسلاف الذين رأوا الطور بأعينهم يظلهم من فوقهم، وكي يقي الأمر باتباع كتاب الله ممتدًّا لمن عاصر القرآن أو سمعه من أحفادهم تذكيرًا لهم باقتدار الله وسلطانه على أسلافهم، وهم إن لم يكونوا قد رأوا الطور مرفوعًا كأنه ظُلَّة فالقرآن الكريم قد استدعى لهم المشهد حيًّا واضحًا جليًّا أمام أبصارهم؛ لأخذ العبرة والعظة والتزام تشريعات الله.

۞ **الآية الخامسة: قوله تعالى**[1]: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾.

قوله تعالى: (لَا تَعْبُدُونَ) على إرادةِ القولِ أيْ قلنا أو قائلين لا تعبدون[2]، وهو خبر في معنى النهي، وهو أبلغ من صريح النَّهي؛ لما فيه من إيهام أنَّ المنهيَّ سارع إلى الانتهاء، وقيل: حُذفت «أن» وارتفع المضارع، وهو على حذف القول،

(١) البقرة: ٨٣

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١/ ١٢٣.

أي: وقلنا لهم: لا تعبدون[١]. ومال البيضاوي إلى ذلك التوجيه؛ لأنه عطف "قُولُوا" عليه، فيكون على إرادة القول[٢]. وعلى هذا التوجيه فجملة "لا تعبدون" مقول القول لفعل محذوف تقديره قلنا: لا تعبدون. ويحتمُّ النيسابوريُّ على تقدير فعل قول محذوف فيقول: "لا بد من تقدير القول، إمَّا قبل "لا تَعْبُدُونَ"، وإما قبل: إحْسانًا، وإما قبل: "قُولُوا"[٣].

ويرى أبو حيان في جملة (لَا تَعْبُدُونَ) على تقدير فعل القول محذوفًا وجهين:

-أن تكون محكية بحال محذوفة، أي قائلين: لا تعبدون إلا اللّه، ويكون إذ ذاك لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي، أي قائلين لهم لا تعبدوا إلا اللّه، ويؤيده قراءة أبي وابن مسعود "لا تعبدوا"، والعطف عليه قوله: "وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا". وهذا الوجه تأوَّل فيه أبو حيان حالًا محذوفةً مشتقةً من فعل "القول".

- أن يكون المحذوف القول، أي وقلنا لهم: لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ، وهو نفي في معنى النهي أيضًا[٤].

وفي تفسير "المنار" اعتراض على هذا التوجيه، فجملة ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ وما بعدها إنما هي بَيَانٌ للميثاق، لا مقول قَولٍ محذوفٍ. وعلى هذا التوجيه فهي إما استئنافية لا محل لها من الإعراب، وإما أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: "وهذا الميثاق لا تعبدون إلا الله"[٥].

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة الفاسي، ١/ ١٢٧.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، ١/ ٩٧.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ١/ ٣٢٣.

(٤) البحر المحيط، أبو حيان، ١/ ٤٥٧.

(٥) تفسير المنار، ١/ ٣٠٣.

وفي هذه الجملة من الآية ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ من الإعراب ثمانية أوجه:

- أولها: أنها مفسرة لأخذ الميثاق ولا محل لها حينئذٍ من الإعراب.

- الوجه الثاني: أنها في محل نصب على الحال من -

- الوجه الثالث: أن يكون جوابًا لقسم محذوف دلَّ عليه لفظ الميثاق، والتقدير: استحلفناهم أو قلنا لهم: باللهِ لا تعبدون، ونسب هذا الوجه إلى سيبويه ووافقه الكسائي والفراء والمبرِّد.

- الوجه الرابع: أن يكون على تقدير حذف حرف جر أو حذف "أَنْ"، والتقدير: أخذنا ميثاقهم على أن لا تعبدوا أو بأنْ لا تعبدوا، وحذف "أن" الناصبة هو الذي ذكره المؤلف واستشهد له.

- الوجه الخامس: أن يكون في محل نصب بالقول المحذوف، وذلك القول حال تقديره: قائلين لهم لا تعبدون إلا الله.

- الوجه السادس: أَنَّ "أَنْ" الناصبة مضمرة كما تقدم، ولكنها هي وما في حيِّزها في محل نصب على أنها بدل من "ميثاق".

- الوجه السابع: أن يكون منصوبًا بقول محذوف، وذلك القول ليس حالًا بل مجرد إخبار، والتقدير: وقلنا لهم ذلك. ويكون خبرًا في معنى النهي. قال الزمخشري: هو أبلغ من صريح الأمر والنهي، وتنصره قراءة أُبَيّ وعبد الله {لا تعبدوا}.

- الوجه الثامن: أن تكون "أَنْ" مفسرة ثم حذفت "أَنْ" المفسرة - ذكره الزمخشري[1].

---

(١) يُنظَر في تلك الوجوه الإعرابية: معاني القرآن للفراء، ١/ ١٢٦ - الكشاف ١/ ٢٩٣ - البحر المحيط =

وقد عرض النسفي لقراءة الجمهور بخطاب الحاضر، وقراءة ياء الغيبة لابن كثير المكيِّ وحمزةَ والكسائي، ووجَّهَ قراءة **(لا يعبدون)** بأنَّ بني إسرائيل اسمٌ ظاهر، والأسماء الظاهرة كلها غَيْب. ومعناه: ألا يعبدوا، فلما حُذِفَت "أن" رَفَع. أما قراءة الحاضر فتخريجها أنها نهيٌ في صورة خبر، والمعنى: ألا تعبدوا، كما تقول: تذهبُ إلى فلانٍ تقول له كذا، تريد الأمر. وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ لأنَّه كأنه سُورِعَ إلى الامتثالِ والانتهاءِ وهو يخبر عنه، وتنصرُه قراءة أبيٍّ بن كعب (ت: ٣٠ هـ) «لا تَعْبُدُوا»[(١)].

وقد أتى تركيبُ جملة القول المحذوف على صورة الخبر، لكنَّ المفسرين رأوه إخبارًا في معنى النهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر. وهو أبلغ من صريح الأمر والنَّهي؛ لأنه كأنه سُورِعَ إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه، وتأكد هذا التوجيه بقرينتين: الأولى في السياق الداخلي: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فالأمر يقوي حمل الخبر على النَّهي، أما القرينة الثانية فهي قراءة أبيٍّ بن كعب: «لا تعبدوا»، وهي قراءة غير متواترة.

وحذف فعل القول هنا له – فيما أرى – له هدفان دلاليان:

أولهما: إدخال عبادة الله في صلب الميثاق وكأن عبادة الله بدل من الميثاق؛ للتشديد على أهمية العبودية من الدين وكونها الميثاق الأغلظ والأوثق بين الله وعباده.

= ١/ ٢٨٢ – الدر المصون ١/ ٤٥٨ – إملاء ما مَنَّ به الرحمن، ١/ ٤٧.

(١) النسفي: مدارك التنزيل (١/ ٦٦). وفي تخريج القراءتين راجع: السبعة في القراءات، لابن مجاهد، صـ ١٦٢ – الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، ص ٨٣ – الحجة للقرَّاء السبعة، لأبي علي الفارسي، ٢/ ١٢١ – اتحاف فضلاء البشر، للبنا الدمياطي، ١/ ٤٠٠.

ثانيهما: مخاطبة الحاضرين السامعين الشاهدين من بني إسرائيل بميثاق أسلافهم مع الله تعالى، وكأنَّ النص الكريم يقول لهم: إن الميثاق مع الله قائمٌ ما انقطع من قِبَلِه، فلا تقطعوه من قِبَلِكم، فأنت ملزمون به كما التزم به أسلافكم.

۞ **الآية السادسة: قوله تعالى**(١): ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾

اختلفوا في قراءة "واتَّخِذُوا"؛ فقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء، وقرأ الجمهور بكسرها على الأمر(٢).فعلى قراءة الجمهور يظهر التفات من ضمير التكلم وهو "وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمنًا"، إلى ضمير الخطاب وهو "واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلًّى"، وعليه فلا بد من وجود فعل قول محذوف بين الجملتين يقدر بـ (قلنا) أو (قائلين)، يقول ابن عاشور: "وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ قرأه نافع وابن عامر بصيغة الماضي عطفًا على "جعلنا"، فيكون هذا الاتخاذ من آثار ذلك الجعل، فالمعنى ألهمنا الناس أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، أو أمرناهم بذلك على لسان إبراهيم فامتثلوا واتخذوه، فهو للدلالة على حصول الجعل بطريق دلالة الاقتضاء، فكأنه قيل: جعلنا ذلك فاتخذوا، وقرأه باقي العشرة بكسر الخاء بصيغة الأمر على تقدير القول، أي: قلنا اتخذوا بقرينة الخطاب، فيكون العامل المعطوف محذوفًا بالقرينة، وبقي معموله كقول لبيد:

فَعَـلا فُـروعَ الأَيْهُقَـانِ فَأَطْفَلَـتْ بــالجَلْهَتَين ظِبَاؤُهــا وَنَعَامُهــا

أراد وباضت نعامها؛ فإنه لا يقال لأفراخ الطير أطفال، فمآل القراءتين، إلى

---

(١) البقرة: ١٢٥

(٢) ينظر: السبعة في القراءات، لابن مجاهد، صـ ١٩٣ – الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، صـ ٨٧ – النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد الدمشقي، ٢/ ٢٢٢.

مفادٍ واحد[١].

ووجهُ قراءة نافع وابن عامر بالفعل الماضي ﴿واتَّخَذوا﴾ بأنها عطفٌ على ﴿جعلنا﴾، أي: واتَّخَذَ النَّاسُ من مكانَ إبراهيم الذي وُسِمَ به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلةً يُصلُّون إليها[٢]. ويقوِّي القراءةَ أنَّ بعدَها خبرًا لا إنشاءً: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم﴾. وعن اتِّسَاقِها مع الآية الكريمة فقد ذكر السَّمين الحلبي ثلاثةَ أوجهٍ:

- أحدُها: أنه معطوفٌ على ﴿جعلنا﴾ المخفوض بـ ﴿إذ﴾ تقديرًا، فيكون الكلامُ جملةً واحدةً.
- الثاني: أنه معطوفٌ على مجموعِ قولِه: ﴿وإذ جعلنا﴾ فيحتاجُ إلى تقديرِ ﴿إذ﴾ أي: «وإذ اتَّخَذوا»، ويكون الكلامُ جملتين، وهو تقدير أبي علي الفارسي في "الحُجَّة"[٣].
- الثالث: أن يكونَ معطوفًا على محذوفٍ تقديرُه: فثابوا واتَّخَذُوا. وهو تقدير أبي البقاء[٤].

وعن العلة الدلالية لحذف فعل القول في الآية الكريمة؛ فأرى أنَّ النَّصَّ الكريم بهذا الحذف جعل التركيبين- بقراءة الماضي وقراءة الأمر - متاحين دلاليًّا، ومقبولين في تفسير المعنى، فعلى قراءة الفعل الماضي لا يحتمل ظهور القول مطلقًا، وعلى قراءة الأمر فالقول مقصودٌ ومقدَّرٌ؛ فكان حذف الفعل إتاحةً لاحتمال القراءتين وتوجيههما نحويًّا ودلاليًّا.

---

(١) التحرير والتنوير، ١/ ٧١٠.

(٢) مدارك التنزيل، للنسفي (١/ ٨٧).

(٣) الحجة للقرَّاء السبعة، لأبي علي الفارسي، ٢/ ٢٢٠.

(٤) أبو البقاء العكبري: إملاء ما منَّ به الرحمن، لأبي البقاء، ١/ ٦٢- الدر المصون للسمين الحلبي، ٢/ ١٠٥.

۞ **الآية السابعة:** قوله تعالى[١]: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

هناك قول محذوف، وفي تقديره ثلاثة آراء:

-الرأي الأول: إنه في محل نصب على الحال ويقدر بـــــ (يقولان)[٢].

-الرأي الثاني: يُقدَّر حالًا من "يَرفعُ إبراهيمُ"، وهذا القول من كلام إبراهيم الذي يناسب الدعاء لذريته؛ لأن إسماعيل كان حينئذٍ صغيرًا، ودليل ذلك أن إسماعيل عطف على إبراهيم بعد ذكر المفعولات والمتعلِّقَات، وهو أسلوب العربية إذا تفاوت عمل المعطوف والمعطوف عليه في صدور الفعل؛ إذ يُعطَف أحدهما على الآخر بعد استيفاء ما يتعلق بالفاعل الأول. أمَّا إذا اتَّحدَا فيُعطَف الثاني على الأول مباشرةً قبل الاستيفاء[٣].

-الثالث: مِن القُرَّاء مَن يقف على البيت. ويبتدئ برفع إسماعيل؛ فيكون فعل القول المقدَّر في محل رفع خبر لإسماعيل، فكأنَّ البناء كان من إبراهيم، والدعاء كان من إسماعيل[٤].

ولتفصيل تلك الوجوه يقول السمين الحلبي: "{وَإِسْمَاعِيلُ} فيه قولان:

-أحدُهما، وهو الظاهرُ، أنَّه عطفٌ على «إبراهيم»، فيكونُ فاعلًا مشاركًا له في الرفعِ، ويكونُ قولُه: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} في محلِّ نَصْبٍ بإضمار القولِ، ذلك القولُ في محلِّ نصبٍ على الحالِ منهما أي: يَرْفَعان يقولان: ربَّنا تقبَّلْ، ويؤيِّد هذا قراءةُ

(١) البقرة: ١٢٧

(٢) ينظر: الكشاف، ١/ ٢١٤. وينظر البرهان في علوم القرآن، ٣/ ١٩٧.

(٣) التحرير والتنوير، ١/ ٧١٨.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء، ١/ ٣٣٦، وينظر مغني اللبيب، ٢/ ٦٣٤.

عبد الله بإظهار فعلِ القولِ، قرأ: «يقولان ربَّنا تقبَّلْ، أي: قائِلين ذلك، ويجوز ألاَّ يكونَ هذا القولُ حالًا بل هو جملةٌ معطوفةٌ على ما قبلها، ويكونُ هو العاملَ في "إذ" قبله، والتقديرُ: يقولان ربَّنا تقبَّلْ إذ يرفعان أي: وقتَ رَفْعِهما.

- والثاني: الواوُ واو الحالِ، وإسماعيلُ مبتدأٌ، وخبرهُ قولٌ محذوفٌ هو العاملُ في قولِه: "ربَّنا تَقبَّلْ"، فيكونُ إبراهيم هو الرافعَ، وإسماعيلُ هو الداعيَ فقط، قالوا: لأنَّ إسماعيلَ كان حينئذٍ طفلًا صغيرًا، وَرَوْوه عن علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. والتقديرُ: وإذ يرفع إبراهيمُ حالَ كونِ إسماعيل يقول: ربَّنا تقبَّلْ منَّا[1].

وقال أبو السعود في تفسيره عن هذه الآية "{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا} على إرادةِ القول، أيْ: يقولان، وقد قرئ به على أنه حالٌ منهما - عليهما السلام -. وقيل: على أنه هو العاملُ في "إذْ" والجملةُ معطوفةٌ على ما قبلها، والتقديرُ يقولان ربنا تقبلْ منا إذ يرفعان أيْ وقتَ رفعِهما. وقيل: وإسماعيل مبتدأٌ خبرُه قولٌ محذوفٌ، وهو العامل في "رَبَّنَا تقبَّلْ مِنَّا" فيكون إبراهيمُ هو الرافع وإسماعيل هو الداعي، والجملةُ في محل النصب على الحالية أي: وَإِذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القَوَاعِدَ والحال أن إسماعيل يقولُ ربَّنَا تقبَّل مِنَّا[2].

وعن المغزى الدلالي لحذف فعل القول في الآية يرى مفسِّرا المنار أنه حكاية لدعاء إبراهيم وإسماعيل عند البناء، وهو أنهما كانا يقولان ذلك، وحُذِفَ القولُ للإيجاز الذي عُهِدَ من القرآن في خطاب العرب، وجملة القول بيان لحالهما وقتئذٍ[3].

---

(١) الدر المصون، للسمين الحلبي، ٢/ ١١٤.

(٢) تفسير إرشاد العقل السليم، لأبي السعود ١ / ١٦٠

(٣) تفسير المنار، للمحمَّدين: عبده ورضا، ١ / ٣٨٦.

أضف إلى وجه الإيجاز الذي ذكره السيد رشيد رضا وجهًا آخر يتضمن الخوف الشديد من حبوط العمل خشية أن يتداخل فيه رياء أو سمعة أو شائبة تحول دون القبول، ولهذا حُذِفَ القول وحُذِف أداة النداء، ففور أن رفعا لله بيته كان دعاؤهما؛ والخوف من الله وإجلاله وإكباره وإعظام الحديث معه قد يدفع المتكلم لحذوفٍ في كلامه، «وذلك كحذف حروف العطف بين الجمل في مواقف الفزع أو مطلق الانفعال»[١]، وإن كانت حالات الانفعال النفسي مدعاةً للحذف؛ فلقد عكس حذف فعل القول هنا رجاءً نفسيًّا بقبول بناء البيت في نفس الخليل وولده الصالح، ولعل هذا الدعاء الذي يحمل دلالة الرجاء بالقبول والخوف من الحبوط كان تاليًا سريعًا مباشرًا لفعل البناء، فناسبَه حذف الفعل.

۞ **الآية الثامنة**: قوله تعالى[٢]: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾

يقول ابن عادل: "الجملة من قوله: «يا بُنيَّ» وما بعدها منصوبةٌ بقول محذوف على رأي البصريين، أي: (فقال: يا بَنِيَّ). وبفعل الوصية؛ لأنها في معنى القول على رأي الكوفيين"[٣].

ويزيد الشيخ محمد الأمين الأرمي الآية جلاءً بقوله: "قوله: {يَا بَنِيَّ} على إضمار القول عند البصريين، تقديره: ووصَّى بها بنيه، وقال {يَا بَنِيَّ} الخ. وذلك؛ لأنَّ {يَا بَنِيَّ} جملةٌ، والجملة لا تقع مفعولًا إلّا لأفعال القلوب، أو فعل القول، وأمَّا عند الكوفيين فمنصوبٌ بفعل الوصية؛ لأنّها في معنى القول على رأيهم. وفي

(١) الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، ص ٩٨.

(٢) البقرة: ١٣٢

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٢/ ٥٠٣.

"الفتوحات" قوله: {يَا بَنِيَّ} فيه وجهان:

● **أحدهما**: أنّه مقول إبراهيم، وذلك على القول بعطف يعقوب على إبراهيم، وهو الأظهر كما مرّ، ومقول يعقوب محذوفٌ؛ لدلالة مقول إبراهيم عليه، والتقدير: ووصَّى بها إبراهيم بنيه، وقال: {يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ} الخ. ووصى بها يعقوب بنيه، وقال: {يَا بَنِيَّ} الخ.

● **والثاني**: أنه من مقول يعقوب؛ إن قلنا رفعه بالابتداء، ومقول إبراهيم محذوف؛ لدلالة مقول يعقوب عليه، والتقدير: ووصَّى بها إبراهيم بنيه، وقال: {يَا بَنِيَّ...} الخ. ويعقوب وصَّى بها بنيه، وقال: {يَا بَنِيَّ}(١).

وقد اختلفوا فيمن قال الجملة {يا بنيَّ...}، وهذا الخلاف ثمرةٌ للخلاف في موقع "يعقوب" من الجملة، وهناك قولان في ذلك:

- أولهما: أنه معطوف على «إبراهيم»، ويكون مفعوله محذوفًا، أي: ووصَّى يعقوبُ بنيه أيضًا. وعليه فالقائل إبراهيم.

- والثاني: أن يكون مرفوعًا بالابتداء، وخبره محذوف تقديره: ويعقوب قال: يا بنيَّ إنَّ الله اصطفى. وعليه فالقائل يعقوب، وعليه يكون مقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ محذوفًا دلَّت عليه جملة {يا بَنِيَّ إنَّ الله...} التي هي مقول يعقوب بتقدير فعلِ قولٍ محذوفٍ.

- وقرأ إسماعيل بن عبد الله، وعمرو بن فائد بنصب "يعقوب" عطفًا على «بنيه»، أي: ووصَّى إبراهيمُ يعقوبَ أيضًا(٢).

وإن تأملنا دلالة الآية الكريمة يظهر لنا أن حذف فعل القول جاء لتوجيه

(١) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الأرمي، ٢/ ٣٠١.
(٢) ينظر: البحر المحيط، ١/ ٥٧٢ - التحرير والتنوير، ١/ ٧٢٨- ٧٢٩.

الوصية بالموت على الإسلام من كلام إبراهيم ومن كلام يعقوب أيضًا، فالنص الكريم قد فتح هذا الأفق الدلالي وترك الاحتمالين متاحين تركيبيًّا ودلاليًّا لتنبيه بني إسرائيل أن جدهم الخليل وأباهم يعقوب ما انتقلوا إلى الله إلا بعد أن شددوا على بنيهم بإفراد الله وحده بالعبودية دون سواه. ومما يؤكد أن القول من مقول إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – ما ذكره النبي الصالح يوسف لصاحبي سجنه في قوله تعالى[(١)]: ﴿تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

والنهي في مقول القول ليس عن الموت؛ فكل نفس ذائقة الموت، ولكنَّ المقصود فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا، كقولك: "لا تُصلِّ إلا وأنتَ خاشعٌ"، فلا تنهاهُ عن الصَّلاة، ولكن عن ترك الخُشُوع في صلاتِه[(٢)].

وبذلك فالقَصْديَّة من النص حكمت على ظاهر التركيب، والسياق كان مُؤشِّرًا نصيًّا للوصول إلى تلك الدلالة المقصودة من هذا التركيب؛ فالمنهيُّ عنه لفظًا غير المنهي عنه قصدًا.

۞ **الآية التاسعة: قوله تعالى**[(٣)]: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾

جملة "بل أحياءٌ" منصوبةٌ بقول محذوفٍ، يقول ابن عادل: "والجملة من

(١) – يوسف: ٣٧-٣٨

(٢) ينظر: مدارك التنزيل، للنسفي، ١/ ٩٠.

(٣) –البقرة: ١٥٤

قوله: {هُمْ أَمْوَاتٌ} في محلِّ نصب بالقول؛ لأنها محكية به. **وأمَّا {بَلْ أَحْيَاءٌ} فيحتمل وجهين:**

-أحدهما: ألا يكونَ له محلٌّ من الإعراب، بل هو إخبار من الله - تعالى - بأنهم أحياء، ويرجحه قوله: ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾؛ إذ المعنى لا شعور لكم بحياتهم.

-والثاني: أن يكون محلّه النصب بقول محذوف تقديره: "بل قولوا: هم أحياء"، ولا يجوز أن ينتصب بالقول الأول لفساد المعنى"[1].

وحذف فعل القول هنا – فيما أرى - له مقصدان دلاليان:

أولهما: توسيع دائرة الاحتمال الدلالي، كي تبقى الجملة ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ محتملة لأن تكون من إقرار الله تعالى وشهادته للشهداء بالحياة، وتبقى كذلك محتملةً لفعل القول المحذوف: قولوا بل أحياءٌ.

ثانيهما: سرعة رد القرآن الكريم على دعوى موت الشهداء، نعم ماتوا جسدًا وبقيت أرواحهم في رحاب الخلد، ومباشرة النفي لزعم موتهم دون فاصل لغوي أو حائل تركيبي حدا بحذف فعل القول وتماسِّ الرد مع الدعوى دون عائق تركيبي.

۞ **الآية العاشرة: قوله تعالى**[2]: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾

قال أبو حيان: "والفاءُ في قولِه: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ جَوَابُ إِذَا، وَثمَّ قولٌ محذوفٌ تقديرُه: فقلْ لهم إِنِّي قَرِيبٌ؛ لأَنَّهُ لا يترتَّبُ على الشَّرطِ القربُ، إِنَّما يترَتَّبُ

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٣/ ٨١.
(٢) البقرة: ١٨٦

الإخبارُ عن القُرب"[١].

وقال السمين الحلبي: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ ﴾ في «أُجيب» وجهانِ أحدُهما: أنها جملةٌ في محلِّ رفع صفةً ل «قَرِيبٌ» والثاني أنها خبرٌ ثانٍ لإنِّي، لأنَّ «قريب» خبرٌ أولُ. ولا بُدَّ من إضمارِ قولٍ بعدَ فاء الجزاء تقديرُه: فَقُلْ لهم إني قَرِيبٌ، وإنما احتجْنا إلى هذا التقدير؛ لأنَّ المترتِّب على الشرط الإخبارُ بالقُرْبِ[٢].

وقد أشار صاحب "التحرير والتنوير" إلى تقدير قول محذوف قبل "فإني قريب"؛ وذلك جريًا على استعمال العرب لمثل هذا الأسلوب يقول: "واستعمالُ مثلِ هذا الشَّرطِ مع مادَّة السُّؤال لقصد الاهتمامِ بما سَيُذْكَرُ بعدَه استعمالٌ معروفٌ عند البلغاء، قال علقمة:

فَـإِنْ تَسْـأَلُونِي بِالنِّسَـاءِ فَـإِنَّنِي ... خَبِيـرٌ بِـأَدْوَاءِ النِّسَـاءِ طَبِيـبُ[٣]

وَيُؤيِّد هذا تجريد الجواب من كلمة "قُلْ" التِي ذُكِرَتْ في مواقع السُّؤال من القرآن، نحوَ قوله تعالى[٤]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ و[٥]﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾)"[٦].

وقال الشيخ محمد سيد طنطاوي: "{فإنِّي قَرِيبٌ} مقول القول المحذوف؛ ويحتمل أن يكون الجواب جملة: {فإني قريب}؛ لوضوح المعنى بدون تقدير؛

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان، ٢ / ٢٠٥.

(٢) الدر المصون، للسمين الحلبي، ٢/ ٢٨٩.

(٣) هذا بيتٌ من الطويل، وهو لعلقمةَ بن عبدة الفحْل. انظر: همع الهوامع ٢/ ٢٢.

(٤) البقرة: ١٨٩

(٥) البقرة: ٢٢٠

(٦) التحرير والتنوير، ٢/ ١٧٨.

والضمير في قوله تعالى: {فإني قريب} يعود إلى الله"[١].

وحذف فعل القول هنا مقصودٌ دلاليّا حتى لا يكون بين العبد وربه واسطة في الدعاء ولو كان هذا الوسيط رسوله الخاتم ونبيه الأكرم ﷺ ففي كل آيات التساؤلات يوسِّط الله نبيه بقوله "قل"، إلا في السؤال عن الله، أجاب الرب بذاته – سبحانه وتعالى – عن قربه، وهذا الجواب بالقرب ثم الوعد بعده بالإجابة يقطع كل معذرة ويدفع كل تعلةٍ في التخاذل عن الدعاء أو الاستهانة به، أو الإحباط في استجابة الله تعالى له.

۞ الآية الحادية عشرة: قوله تعالى:[٢] ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾

قوله تعالى: {لاَ نُفَرِّقُ} هذه الجملةُ منصوبةٌ بقولٍ محذوف تقديرُه: يقولون لا نُفرِّق، ويجوز أن يكونَ التقديرُ: يقول، يعني يجوزُ أَنْ يراعى لفظُ «كلٌّ» تارةً، ومعناها أخرى، في ذلك القولِ المقدَّرِ، فَمَنْ قَدَّر «يقولون» راعى معناها، وَمَنْ قدَّر «يقول» راعى لفظَها، وهذا القَولُ المضمرُ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ في محلِّ رفعٍ لأنه خبرٌ بعد خبرٌ[٣].

وقد عرض لقراءتين أخريين ينتفي معهما تقدير قول محذوف، فقال: "والعامَّةُ على «لا نفرِّقُ» بنون الجمعِ. وقرأ ابن جبير وابن يعمر وأبو زرعة ويعقوب، ورُويت عن أبي عمرو أيضًا: «لا يُفَرِّقُ» بياء الغيبة حملًا على لفظ «كل». وروى هارون أن في مصحف عبد الله «لا يُفَرِّقون» بالجمعَ حَمْلا على معنى «كل»، وعلى هاتين القراءتين فلا حاجةَ إلى إضمارِ قولٍ، بل الجملةُ المنفيةُ بنفسِها: إمَّا في

(١) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٧/ ١١٣.
(٢) البقرة: ٢٨٥
(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٤/ ٥٢٧.

محلِّ نصبٍ على الحالِ، وإمَّا في محلِّ رفعٍ خبرًا ثانيًا كما تقدَّم في ذلك القولِ المضمرِ(١).

ويقول صاحب التحرير والتنوير: "لا نفرق" قرأه الجمهور بنون المتكلم المشارك، وهو يحتمل الالتفات؛ بأن يكون من مقول قول محذوف دل عليه السياق. وعطف "وقالوا" عليه. أو النون فيه للجلالة أي: آمنوا في حال أننا أمرناهم بذلك، لأننا لا نفرق، فالجملة معترضة، وقيل: هو مقول لقول محذوف دل عليه "آمن"؛ لأن الإيمان اعتقاد وقول"(٢).

ويعقب الشيخ محمد عبده في "المنار" على ذلك قائلًا: "وذكر المقول مع حذف القول كثير في الكلام البليغ، وله مواضع في الكتاب لا يقف الفهم في شيء منها"(٣).

وحذف فعل القول هنا جاء للفت الانتباه لقضية الإيمان بالرسل وتنبيه المستمع والقارئ لها، فما اختلف أهل الأديان السماوية إلا من بعد أن فرَّقوا بين الله ورسله وآمن بعضهم برسول ولم يؤمن بآخر، فكانت تلك القضية العقدية سببًا في افتراق اليهود والنصارى والمسلمين، فسلَّط عليها الضوء بهذا الالتفات القوي لإبراز القضية وتوجيه أبصار الناس إليها، والمعنى: "لا نفرق بين أحد من رسله في الإيمان بهم كما فعلت اليهود والنصارى، فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، بل نؤمن بجميع رسله تعالى، ونثبت نبوة جميع الأنبياء، ولا نكفر بأحد منهم. والمقصود من هذا الكلام: إثبات النبوة لكلهم، لا ما ادَّعاه بعضهم من أن المقصود هو عدم

---

(١) الدر المصون، السمين الحلبي، ٢/ ٦٩٤.

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ٣/ ١٣٣.

(٣) تفسير المنار، ٣/ ١١٩.

التفضيل بينهم"[١].

۞ **الآية الثانية عشرة: قوله تعالى**[٢]: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

أشار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تقدير قول محذوف قبل الدعاء، فقال: "وهذا تعليمٌ من الله عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه، وما يقولونه في دعائهم إياه. ومعناه: قولوا: "ربَّنا لا تُؤاخِذْنَا إنْ نَسِينَا" شيئًا فرضتَ علينا عملَه فلم نعمله، "أو أخطأنا" في فعل شيءٍ نهيتَنا عن فعلِه ففعلناه، على غيرِ قصدٍ منَّا إلى معصيتِك، ولكن على جهالةٍ منَّا به وخطأ"[٣].

وذهب ابن عطية إلى تقدير قول مضمر في الآية فقال: "معناه قولوا في دعائكم"[٤].وقال أبو حيان: "هذا على إضمار القول، أي: قولوا في دعائكم: ربنا لا تؤاخذنا، والدعاء مخّ العبادة؛ إذ الداعي يشاهد نفسه في مقام الحاجة والذلة والافتقار، ويشاهد ربه بعين الاستغناء والإفضال، فلذلك ختمت هذه السورة بالدعاء والتضرع، وافتتحت كل جملة منها بقولهم: ربَّنا؛ إيذانا منهم بأنهم يرغبون من ربهم الذي هو مربيهم ومصلح أحوالهم، ولأنهم مقرون بأنهم مربوبون داخلون

---

(١) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٤/ ١٤٩.

(٢) البقرة: ٢٨٦

(٣) جامع البيان، الطبري، ٣/ ١٣٩.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١/ ٣٩٤.

تحت رق العبودية والافتقار"[١].

ورأى أبو السعود أن هذا الدعاء شروعٌ في حكاية بقيةِ دعواتِهم إثرَ بيانِ سرِّ التكليف، أي: لا تؤاخِذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريطٍ وقلةِ مبالاة ونحوِهما مما يدخُل تحت التكليف...". وهذا يعني اكتفاؤه بتوجيه الدعاء على أنه من كلام المؤمنين، ولم يقدر فيه قولًا مضمرًا[٢].

وعرض الطاهر ابن عاشور لوجهين في الآية، فهي إمَّا من قول المؤمنين، وإمَّا تلقينٌ من رب العالمين، فلو كانت من قول المؤمنين فلا محل لها من الإعراب، وغن كانت على إضمار قول محذوفٍ من الله تعالى فهي في محل نصب، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يجوز أن يكون هذا الدعاء محكيًّا من قول المؤمنين الذين قالوا: سمعنا وأطعنا بأن اتبعوا القبول والرضا، فتوجهوا إلى طلب الجزاء ومناجاة الله تعالى، واختيار حكاية هذا عنهم في آخر السورة تكملة للإيذان بانتهائها، ويجوز أن يكون تلقينًا من جانب الله تعالى إياهم بأن يقولوا هذا الدعاء، مثل ما لُقِّنوا التحميد في سورة الفاتحة، فيكون التقدير: "قولوا: ربنا لا تؤاخذنا" إلى آخر السورة، إن الله بعد أن قرر لهم أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها، لقَّنهم مناجاةً بدعواتٍ هي من آثار انتفاء التكليف بما ليس في الوسع"[٣].

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان، ٢/ ٧٦٢، ٧٦٣.

(٢) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، ١/ ٣٤٣.

(٣) التحرير والتنوير، ٣/ ١٣٩.

خاتمة البحث

بعد الدراسة النظرية لحذف فعل القول واستدعاء شواهد تلك الظاهرة من سورة البقرة، يتأكد لنا أن القرآن الكريم له ميزان دقيق ومعجز في اطراح بعض الوحدات التركيبية أو إثباتها، وأن مرد حذف وحدة تركيبية أو إثباتها راجعٌ إلى تحقيق أعلى كفاءة نصيَّة تضمن سيولة التركيب وسلاسة المكوِّن اللغوي، بما يتيح التدفق اللفظي والانسياب السياقي دون عائقٍ يحول دون توالي الجمل وتماسك التركيب.

وقد راعى النص الكريم في شواهد حذف فعل القول – كما في ديدنه العام – حالات المقام اللغوي، فاختزل حيث كانت طبيعة الموقف تستدعي الاختزال، وحذف حيث يستدعي سياق الموقف فتح آفاق الدلالة واحتمالات المعنى، وأعقب التركيب بالتركيب دون فعل قولٍ حيث استدعى الموقف سرعة الرد أو إزالة اللبس او تصوير الانفعال النفسي رغبًا ورهبًا.

وكان لكل موطنٍ من مواطن حذف القول في تلك الشواهد مغزًى دلاليٌّ بليغٌ قد يعمق فكرةً، أو يكشف حالة نفسيةً، أو يعمِّم حكمًا، أو يثير قضيَّة، أو يسلط الضوء على مبدأ عقدي أو تشريعي، أو يثير كوامن النفس نحو التدبر والتأمل في استخراج الدلالات المحتملة.

وإن أردتُ أن أخلص أبرز نتائج البحث في صورة نقاط مقتضبة، فها هي:

١- يكثر حذف فعل القول في القرآن الكريم، حتى عُدَّ من مبتكرات القرآن الكريم، وعُدَّ ظاهرة مستقلَّةً بنفسِه.

٢- يرد حذف فعل القول فيما يسمى عند البلاغيين بأسلوب الالتفات، ويرتبط هذا النمط من الحذف بتغاير الأسلوب بين وحدات النص لعلل دلالية أو

تداولية مقصودة من النص الكريم.

٣- إذا كان الفعل صالحًا لأن يكونَ بمعنى القول اكتفى بذلك الكوفيُّون وأجروه مجرى القول، أمَّا البصريون فيقدرون قولًا محذوفًا. ولكلٍّ فكرته ومنزعه، فثمة من يراعي المعنى ويقرر الاكتفاء النصي بالمفهوم دون الحاجة لتقدير منطوق، وهناك من يراعي أبعادًا منطقيةً في العوامل النحوية لا يمكن معها توجيه الإعراب إلا بتقدير قول محذوف.

٤- يُحذَف فعل القول للاهتمام بجملة القول التي أُنشِئَ الكلام من أجلها، وعدم إشغال ذهن المتلقي بما يشوش عليه استقبال دلالة جملة القول. وكذلك لدلالاتٍ بلاغيةٍ مقصودةٍ، كالإيجاز وفهم السامع والمبالغة والإفادة من السياق.

٥- حذف الركن الثاني من جملة القول - وهو مقول القول - نادرٌ جدًّا في القرآن الكريم.

٦- وردت جملة القول تامة الأركان، ووردت محذوفًا منه عنصر أو عنصران، أو ربما أُضمِر عنصر منها (القائل تحديدًا) فيفسِّره السياق.

٧- قُدِّرَ فعل القول المحذوف مضارعًا وأمرًا، وفعلًا مبنيًّا للمفعول، ماضيًا ومضارعًا، وقُدِّرَ القول مشتقًّا منصوبًا على الحاليَّة في بعض المواضع.

قائمة المراجع

١- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.

٢- **أسرار العربية**، لأبي البركات الأنباري، ط دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣- **الأشباه والنظائر في النحو**، جلال الدين السيوطي، وضع حواشيه: غريد الشيخ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٥- **أمالي ابن الشجري**، هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩١م.

٦- **إملاء ما مَنَّ به الرحمن إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات**، لأبي البقاء العكبري، دار الكتب العلمية بيروت، دون تاريخ [مصورة من نسخة لاهور].

٧- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، لابن الأنباري "أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٨- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل "تفسير البيضاوي"**، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٩- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشرة: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٠- **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان الأندلسي " أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.

١١- **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م.

١٢- **البلاغة العربية**، عبد الرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني، دار القلم، دمشق - الدار الشامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٣- **التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري**، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٤- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

١٥- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، محمد عبده - محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٦- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، د. محمد سيد طنطاوي، ط دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٧- **التطبيق النحوي للدكتور عبده الراجحي**، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

١٨- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

١٩- **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٢٠- **الجنى الداني في حروف المعاني**، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢١- **الحجة للقرَّاء السبعة**، أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي ورفاقه، ط دار المأمون، دمشق، ط أولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

٢٢- **الحجة في القراءات السبع**، ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد ت: ٣٧٠ هـ): تحقيق: عبد العال سيد مكرم، ط دار الشروق، القاهرة، ط ثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣- **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٤- **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، مصطفى عبد السلام أبو شادي، مكتبة القرآن، القاهرة، دون تاريخ.

٢٥- **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

٢٦- **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٢٧- **الخلاصة النحويَّة، د. تمام حسان**، ط عالم الكُتُب، ط أولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٨- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، د. محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، دون تاريخ.

٢٩- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للسمين الحلبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٣٠- **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٣١- **رسالة منازل الحروف**، لأبي الحسن علي بن عيسى الرمَّاني، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط دار الفكر، ١٩٨٤م.

٣٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ه- ١٩٩٥م.

٣٣- **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، علي بن محمد بن عيسى الأُشْمُوني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٤- **شرح تسهيل الفوائد**، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، ط دار هجر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٣٥- **شرح التصريح على التوضيح**، للشيخ خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٦- **شرح الرضي على الكافية**، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٣٧- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، أحمد بن فارس القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٨- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان "تفسير النيسابوري"**، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣٩- **في النحو العربي نقد وتوجيه**، د. مهدي المخزومي، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٤م.

٤٠- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لجار الله الزمخشري دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٤١- **اللباب في علوم الكتاب**، لأبي حفص عمر بن عادل الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٤٢- **اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي**، د. شكري محمد عيَّاد، الطبعة الأولى، ط دار انترناشيونال برس، ١٩٨٨م.

٤٣- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، دون تاريخ.

٤٤- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية الأندلسي،

تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ه.

٤٥- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٦- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات النسفي، ط الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريَّة، د. ط، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٧- **معجم الأفعال المتعدية بحرف واحد**، موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٨- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لابن هشام الأنصاري تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

٤٩- **نتائج الفكر في النحو**، لأبي القاسم السهيلي، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٥٠- **نحو القرآن**، د٠ أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد، ١٩٧٤م.

٥١- **النشر في القراءات العشر**، أبو الخير محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، دار الفكر، دون تاريخ.

٥٢- **همع الهوامع في شرح الجوامع**، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٥٣- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د.

أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، ط دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

المجلات والدوريات:

٥٤- تردُّد المقول بين "الحكاية" و"الإخبار" في القرآن الكريم.. ملحوظاتٌ وتعليقاتٌ تمهيديَّة على نقل الكلام في العربيَّة، د. عمر يوسف عكاشة، المجلَّة الأردنيَّة للغة العربيَّة وآدابها، جامعة مؤتة/ الأردن، المجلَّد (٥)، العدد (١)، محرَّم ١٤٣٠هـ - كانون الثَّاني [يناير] ٢٠٠٩م.

٥٥- دور التنغيم في تحديد معنى الجملة العربية، د. سامي عوض، عادل نعامة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٢٨)، العدد (١) ٢٠٠٦م.

Delete the verb and its Evidence's in surat Al-Baqarah A reference and Grammatical study

Dr.Abdullah Bin Sarhan Al-Qarni-UQU-Arabic

Abstract

This study discuss in analytical mode the "Did Say" in Arabic language, which shows the overall sentence of "Say of saying" and its ingredients, then reach the "Did Say" phenomenon, and the cases which must hide the saying in it, and show the reference Ills and the moral meanings of this verb deletion which deleted from most of Arabian sayings.

And after the discussion of that phenomenon, this study shows some examples of "Did Say" in Surat Al-Baqarah, which contains 12 Ayah, shows where was the deletion of the "Did Say" depends on the interpreters saying with showing their differences and agreements of the "Did Say" truth, then search in the purposes and the structure that push the sentence to avoid and delete the "Did Say". This study search is covered with introduction and conclusion and a full references menu.

Key words:

Delete the "Did Say", Surat Al-Baqara evidence, A reference and grammatical study.